هذا نبيك يا ولدي

صلى الله عليه وسلم

محمود محمد غريب

امام وخطيب جامع البنية ببغداد
والموجه الدينى لشباب جامعة القاهرة
والحائز على كأس الأزهر للخطابه ١٩٦٦

توزيع
دار الأنصار
٨١ ش البستان ناصية شارع الجمهورية
عابدين - ت ٩٣١٥٨١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، وسلام على النبي المصطفى :

أما بعد :

فهذه السطور ليست كتاباً في السيرة النبوية الشريفة، لأن مكتبة السيرة غنية ببحارها الزاخرة عن الندى .
ولكنها دراسة في العقيدة الاسلامية تكمل الرسالة السابقة

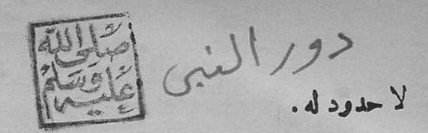
« هذه عقيدتك يا ولدي »

والتي تقبلها القراء قبولا حسناً، والحمد لله .

وقد حاولت — في هذه الرساله — تحليل بعض الأحداث بمقدار ما يثبت العقيدة، ويدفع عنها أباطيل الطاعنين وشبهات الحاقدين على نبي الاسلام وعلى دعوته .

إن العطاء الكبير — الذي قدمه نبي الاسلام ﷺ —

•



لا حدود له.

// جاء الحياة فأعطى ... وجاهد ... وأنفق.

// جعل غرم الدعوة عليه وعلى آل بيته وعلى المقربين من صحابته

// وجعل غنم الدعوة تركة مشاعة بين الناس.

// أنفق مال السيدة خديجة على الدعوة،

// وأنفق مال عثمان بن عفان — صهره — على الدعوة.

// فلما شرعت الزكاة حرمها على نفسه وعلى آل بيته.

// وجعل من نفسه وأهله ميداناً لتطبيق ما يصعب على الناس قبوله من أحكام الشريعة — فقد زوج زينب بنت جحش — ابنة عمته — لزيد بن حارثة — العبد الذى تبناه — وما كان فى العرب أسرة تقبل مثل هذا الزواج. ولما طلقها زيد تزوجها النبي — وهذا أمر فى الشريعة أصعب على النفس — لأنها مطلقة متبناه (١).

---

(١) كان العرب يحرمون على الرجل أن يتزوج مطلقة ابنه من التبنى — فلما ألغى الاسلام مسألة التبنى أجرى التجربة الصعبة على النبى أولا.

وقد حرصت على عمق الفكرة، وسهولة العرض، وقوة البرهان، وأمانة النقل.

والله أسأل أن ينفع بها وأن يجعلها فى صحيفة عملى يوم ألقاه. إنه نعم المعطى ونعم المجيب.

محمود غـــريب

بغداد الكرخ - جامع ومعهد البنية

كتبت المقدمة فى الروضة الشريفة

أمام قبر النبى ﷺ

الفصل الأول

حاجة العالم إلى الرسل .

إخفاق العقل البشرى فى محاولة إدراك ما وراء الطبيعة .

رسل الله تحوّل الأخلاق إلى سلوك عملى ، وتبلغ شريعة الله .

إرسال الرسل يقطع حجة العباد على الله .

اللقاء الأول

عاد وائل إلى بيت الشيخ عارف بعد غيبة طويلة قضاها فى شمال العراق حيث جمال الطبيعة ، وبرودة الجو ، وعذوبة الماء

عاش هناك بين أقوام عكست الطبيعة الجميلة نفسها عليهم ، فاستقام سلوكهم ، وصفت سرائرهم .

ودار الحديث فى شوق بين الأستاذ وتلميذه ، وتذاكرا حلو الماضى ، وجمال الأيام .

* * *

وائل : حدثنى كثيراً يافضيلة الشيخ عن الإيمان بالله — من الناحية العقلية — .

وقلت لى : إن الإيمان بالله مسألة فطرية .

ولكن السؤال الذى يشغلنى : لماذا أرسل الله الرسل ؟ لماذا

فرض الله علينا اتباع الأنبياء، مع أن الإسلام يحترم عقولنا؟

الشيخ : ياوائل : إرسال الرسل نعمة عظيمة من الله .

لقد أرسلهم الله ليبلغوا الناس ما يصعب على العقل البشرى أن يصل إليه .

فالعقل البشرى يا وائل مهيىء لدراسة المادة ، وعمار الأرض . وهذا مجاله .

فإذا حاول أن يخترق السكون ليدرك ماوراء المادة فقد عرض نفسه للخطر .

العقل البشرى – ياوائل – كراكب سفينة ، من حقه أن يسير فى داخلها كما يريد . . ولكن إذا عزم على الخروج من السفينة إلى الماء فقد عرض نفسه للهلاك .

وائل : لكن بعض الناس يجيد السباحة .

الشيخ : البحر أكبر منهم .

فمن هم الذين يجيدون السباحة ياوائل ؟

هل تعنى الفلاسفة ؟

وائل : نعم . . . لأنهم أصحاب عقول كبيرة ، ويمكنهم أن يدرسوا ما وراء البحار .

أعنى بحار المغيبات ، ويمكنهم أن يصلوا إلى الحقيقة وحدهم .

الشيخ : هؤلاء الفلاسفة . . .

فماذا يفعل بقية الناس ؟

طبعاً ليس كل الناس فلاسفة . . . ياوائل . . .

وائل : بقية الناس يتبعون الفلاسفة .

الشيخ : أردت أن تفر من الاتباع . . فوقعت فى الاتباع .
ولكنك تركت طريقاً معبداً آمنا ، وهو طريق الوحى .

وعزمت على السير فى صحراء واسعة . .

مائها سراب ، وأمانها خوف .

ياوائل .

السراب لا يروى الظمآن .

وائل : تعنى أن انتاج الفلاسفة العقلى سراب

الشيخ : فيما وراء الطبيعة كل فلسفة عقلية سراب .

التجربة تقول هذا . . .

هل سمعت عن أرسطو ؟

وائل : قرأت عنه . . . وقرأت له .

إنه المعلم الأول .. وهو الذى وضع علم المنطق - الذى يعصم الذهن من الخطأ فى الفكر - وقد توصل أرسطو إلى الإيمان بالله عن طريق العقل ..

الشيخ : كل هذا صحيح .

ولكن أرسطو عندما أراد أن يخترق بعقله ما وراء الطبيعة هوى منهجه ، وتهافت فكره .

لقد آمن بالله إيماناً رياضيا ، ليصل بهذا الإيمان إلى تفسير عقلى للحركة الميكانيكية فى الكون .

فإيمانه بالله أشبه ما يكون بالمعطيات الهندسية - التى يعطيها المدرس للتلاميذ ليتوصلوا بها إلى حل تمرين هندسى

فهو يفترض وجود الله ليحل بهذا الفرض لغز الحركة الميكانيكية فى الكون .

ولم يثبت وجود الله إثباتاً برهانياً .

وائل : المهم أنه توصل للحقيقة بطريق أو بآخر .

الشيخ : لا يا وائل . .

لم يصل أرسطو إلى الحقيقة .

لأنه تصور أن العالم قديم - لم يكن معدوماً ثم وجد - وتصور أن الله لم يخلق العالم ، ولم يحرك فيه ساكنا .

وائل : فى تصوره كيف وجد العالم ؟ وكيف تحرك ؟

الشيخ : يعتقد أرسطو أن الكون كان فى حالة خمول ، ثم رغب فى الحركة فتحرك وحده . . .

وائل : « متعجباً »

هذه فلسفة أرسطو ؟ !

الكون قديم ! — والله لم يخلق العالم ؟ . . ولم يحرك ساكنه ؟

الشيخ : نعم يا وائل . . .

هذه فلسفة المعلم الأول .

يتصور أن الله كمال مطلق ، والعمل - في تصوره - طالب لحدوث شيء ، والله غني عن الخلق .

وأرسطو يعتقد أن الله — كما إنه لم يخلق شيئاً — فهو أيضاً لا إرادة له .

لأن الإرادة - في تصوره - اختيار أمر من أمرين ، والله غني عن الأمرين .

أرسطو يتصور أن الله يعيش سعيداً بدوامة بقائه فقط ،

لا علم له بالكون ، ولا سلطان له عليه .

وائل : أرسطو ؟ !!

الشيخ : إنه بشر . . . وعقل البشر مهيء لدراسة المادة فقط لأن فيها حياته ،

عباقرة اليونان - يا وائل - آمنوا بآلهة متعددة - وهم أرقى الشعوب حضارة فكرية -

إله للخير ، وإله للشر ، وإله المطر ، و . . . و . . .

حتى الخمر . . جعلوا لها إلهاً .

وكانوا يحتفلون بمولد إله الخمر عنـــد ظهور العنب ،

ويقيمون المآتم عندما ينتهى موسم العنب .

وكانوا يعتقدون أن أكثرهم طاعة لإله الخمر هو أكثرهم إدماناً لشرب الخمر .

هذه حقيقة العقل البشرى ، وهذا إنتاج الفلسفة فى عصر الحضارة اليونانية .

فكيف بعصور الظلام ؟

يدخل هشام ولد الشيخ عارف بطبق فيه عنب .

فيضحكون جميعاً ، وينشغلون بالطعام .

اللقاء الثانى

وائل : كنت أعتقد أن العقل البشرى هو كل شىء .

عارف : كل من فى سنك يرى عقله وعلمه .

فإذا تقدم به السن يدرك الحقيقة، فيتضاءل أمامه اليوم ما رآه عظيما بالأمس .

العلم كالبحر ، من نزل فى أوله يتصور أنه يمكنه أن يعبره بأمان ، ولكن كلما بعد عن الشاطىء يدرك ضعفه ويشعر بعمق البحر .

والدنيا بحاجة إلى قوة الشباب ، وحكمة الشيوخ .

وهناك أسباب أخرى لإرسال الرسل .

وائل : لا أظنك تبخل علينا يا فضيلة الشيخ .

عارف : هل تصلح الدنيا بلا أخلاق ؟

وائل : لا

فالأخلاق أمان للمجتمع ، ثمارها حب ، وغايتها سعادة .

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن هموا ذهبت أخلاقهم ذهبوا

عارف : الأنبياء وحدهم هم الذين يستطيعون وضع قانون أخلاقى كامل . ويعملون على تحويله إلى سلوك .

فدور الأنبياء لا يقف على تعليم الناس قضية الحلال والحرام ولكنه يتعدى هذا الأمر إلى أمر أجل - وهو تحويل الأخلاق من فكرة نظرية إلى سلوك عملى .

ولولا الأنبياء لأصبحت الأخلاق مجرد شعارات جوفاء وأناشيد تردد فى الصباح والمساء .

لقد كان النبى ﷺ - قرآناً - يمشى بين الناس .
كان يهدى بفعله كما يهدى بقوله . حتى كان فعله نموذجاً حياً للإسلام ، وكان فعله تصديقاً لقوله ، لأن الانفصال الذى يقع بين الفعل والقول يبطل الدعوة إلى الخير ، ويذهب أثرها .

الإسلام - يا وائل - لا يعرف الأخلاق النظرية ولا يقبل انفصال الكلمة عن الفعل . قال تعالى :
« يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون « ؟ »
كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون »

وكان النبي يقدر هذا ويعلم أنه أسوة المسلمين ، ويعلم أن أفعاله حجة وأنه منظور إليه لذلك كان يتجنب مواطن الشبه .

فقد مرَّ عليه رجلان وهو يتحدث مع زوجته السيدة صفية فى المسجد ليلا ، فأسرعا . .
فقال لهما النبي : على رسلكما . . إنها صفية زوجتى .

ثم قال : إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم .
فخفت أن يقذف فى قلبيكما شيئاً .

رواه البخارى

* * *

كان النبي يحول الأخلاق إلى سلوك عملي، ويضع القدوة للناس .

كان رحيما بأمته ليعلمهم الرحمة، فقد كان يشعر بآلامها، ويشق عليه ما يشق عليها .

« لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم » فعنتهم يشق عليه .   آخر التوبة

وكان يدع العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يفرض على أمته . أو خشية أن يقلده الناس فيشق ذلك عليهم . بل كان ينهاهم عن بعض الأعمال التي يعملها هو - كصوم الوصال (١) رحمة بهم .

وقد استطاع - صلى الله عليه وسلم - أن يحول قاموس الأخلاق إلى مجتمع أخلاقي، فاقت واقعيته مثالية الفلاسفة .

---

(١) صوم الوصال - هو أن يواصل الصوم أكثر من يوم بدون إفطار - وكان النبي يصومه . ونهى أمته عنه وقال لهم : أبيت يطعمني ربي ويسقيني .

وائل : لكن الضمير الأخلاقى منهج سليم ، وهو فطرى فى النفس ، فهل يكفى لتقويم السلوك ؟

عارف : الضمير الأخلاقى ، والدعوة إلى الاكتفاء به ، فكرة ابتدعها علماء الغرب لتحل مكان الدين فى نفوس الشباب بعد أن ثارت أوربا على الكنيسة ، وأنهوا سلطانها من النفوس .

وهذا لا يمنع أن الإسلام عرف هذا النداء الداخلى فى الإنسان منذ عهد الوحى ، وسماه القرآن «النفس اللوامة» وأقسم بها الله ـ سبحانه ـ تكريما .

ولكن الضمير الأخلاقى لا يعنى أبدأ الاستغناء عن دعوة الرسل ـ عليهم السلام ـ

لأن الضمير ـ يا وائل ـ يتأثر بالبيئة التى يتربى فيها .

ولون الثقافة التى يحملها الإنسان .

والمذهب الاقتصادى والاجتماعى الذى ينتمى إليه .

فالرجل المسلم كم يشعر بالسعادة عندما يقسم تركة ميت حسب الشريعة الإسلامية .

يعطى كل مصاب بالميت ما يعزيه ويسد بعض حاجته .

بينما يتألم الرجل الشيوعى عندما يرى تقسيم التركة ، لأنه لا يؤمن بالميراث ، ويراه تفتيتاً للتركة . (١)

فالضمير يختلف باختلاف المذهب الاقتصادى والاجتماعى كما يختلف بالعقيدة التى يؤمن بها صاحبه .

والرجل المسلم يذوب من الأسى عندما يتذكر يوماً انحرف فيه وشرب كأساً من الخمر ...

بينما لا يتحرك ضمير رجل الغرب لو شرب خمر الدنيا كلها .

---

(١) الإسلام عندما يفتت تركة الميت على الورثة فإنه يدفع كل وارث للعمل ليعيد تكوين تركة تسد فراغه ، فهى دعوة للعمل والإنتاج .

فالضمير لا يكفى لوضع منهج أخلاقى ثابت ، لأن الضمير نشكله باللون الذى نرتاح له .

فبمقدار حاجة الدنيا إلى الأخلاق تتجلى حاجتها لدعوة الرسل .

* * *

والناس - ياوائل - بحاجة إلى شريعة الله ، كحاجتهم إلى رزقه .

لأن النفس الإنسانية متعددة الملكات ، متشعبة الغرائز ولا يستطيع البشر أن يضع لها تشريعاً يشبع كل ملكاتها . فبقدار حاجة الناس إلى قانون ثابت يحكمهم ، ويشبع كل جوانبهم النفسية ، نراهم بحاجة إلى شريعة الله .

وتجارب التشريعات الأرضية تثبت أن التشريع الذى يصلح لليوم لا يصلح لغد .

لأن المشرع - من الناس - يعلم ما مضى ولا يعلم المستقبل . فكيف يضع تشريعاً لحل مشاكل الغد - وهو لاعلم له بها ؟

كما أنه يضع القانون للجماعة التى تحيط به فقط ، لأن ما يصلح لرجل الشرق لا يصلح لرجل الغرب ، وهذا يتنافى مع إقامة مجتمع عالمى يعيش فى سلام .

ولا يفوتنى أن أذكر لك فارقاً أخيراً ، وهو أن التشريع الأرضى يوضع لحكم الناس فقط .

أما شريعة الله فتهدف إلى تربية النفوس وتساميها، مع دورها فى حكمهم وتأديبهم .

فالمسلم لا يسرق ولو أمن من قطع اليد . لأن الشريعة مزجت بين المحرمات وبين الخوف من الله . مزجت بين قطع اليد وبين النكال من الله .

قال تعالى: والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم . «٣٨ المائدة»

فلو نجا من القطع فلن ينجو من النكال .

والمقارنة بغير الشريعة والقانون تعنى المقارنة بين حارس مسلح ، وبين نصب يضعه الفلاح فى الحقل على صورة رجل لتخافه الطيور فلا تسقط على الحب .

فالناس بحاجة إلى شريعة الله بمقدار حاجتهم إلى شريعة عالميـة المساحة ، خالدة الثبوت ، حية العطاء مؤدبة وحاكمة.

وائل : كنا نعتقد أن العقل البشرى كل شيء . . . وكنا نتصور أن الشريعة جاءت لفترة ثم أتت أكلها واستغنى الناس عنها .. فما أحوجنا إلى منهج السماء .

* * *

عارف : هناك سبب رابع لإرسال الرسل :

وهو تطبيق عدل الله ورحمته بالناس .
إن الله لا يسوى بين الطائع والعاصى ولا بين أهل الخير والأشرار .

ولو حاسب الناس فى محكمة العدل المطلق - من غير أن يرسل إليهم رسلا لكان للناس حق الاعتراض .

وكان من حقهم أن يقولوا : « ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى » ١٣١ طه

وائل : هذا صحيح ... فلا جريمة بلا نص .

عارف : من أجل ذلك أرسل الله الرسل ليقطع حجج الناس .

« رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » ١٦٥ النساء

وائل : لا حجة لنا على الله .

فالرسل شهود علينا ، وكتاب الله بيننا ، ومع ذلك فالله قد احترم عقولنا ، لأن الرسل لم تحرم شيئاً يقول العقل إنه حلال ، ولم تحل شيئاً يقول العقل إنه حرام .

آمنت أن تقليد الأنبياء عصمة من الضلال ، ومنهجهم سلامة من الزيغ . وأستودعك الله على أمل اللقاء .

الفصل الثاني

حاجة العالم الإسلامي في القرن السادس الميلادي

الفرس : الهدى في غير معابدهم .

الروم : تروّمت النصرانية . ولم يتنصر الرومان .

اليهود : حملوا التوراة ثم لم يحملوها .

العرب : حاجتهم للرسالة تعدل حاجة العالم كله .

فى صباح يوم من أيام الربيع جلس الشيخ عارف بعد صلاة الصبح يرتل بعض آيات القرآن. بينما انشغلت «ساجدة» زوجته باعداد الطعام.

وطرق الباب طارق من الجزيرة، تناولوا جميعاً، ودار حلو الكلام.

* * *

الشيخ: كيف حال الناس فى الجزيرة ياشيخ سرحان؟

سرحان: الحمد لله. نزل الغيث من بعدما قنطوا، ونشر الله رحمته.

الشيخ: هذه سنة الله فى الكون.

المطر يأتى بعد الظمأ، والنصر بعد الصبر، والفرج بعد الكرب...

كل هذه نماذج للرحمة الخاصة..

أما الرحمة العامة — التى أشرق نورها بعد طول الظلام فهو محمد — ﷺ —

لقد عاش العالم قرونا طويلة يبحث عن النور .

فالدارس للتاريخ — ياشيخ سرحان — يرى أن القرن السادس الميلادى ومطلع القرن السابع كان الظلام قد وصل فيهما إلى كل بقعة فى الأرض — وضعف نور الأديان السماوية فلم تستطع أن تهب الناس هديا على الطريق .

سرحان : الفرس كانت تعبد النار ، واستولى رهبانها على أرزاق الناس مما جعل عقلاء الشباب يخرج منها ويبحث عن الهدى فى غير معابدها كسلمان الفارسى — رضى الله عنه .

سرحان : فماذا عن الروم ياشيخ عارف ؟

عارف : الروم دخلت الديانة النصرانية وهى محملة بأوزار الوثنية ، وعقائدها الفاسدة ، والاناء القذر لو وضعنا فيه حليبا يفسد الحليب ، فاستطاعت الروم أن تروم النصرانية، ولم تستطع النصرانية أن تنصر الروم .

ولو درست مجتمع (نيقية) الذى عقد فى عام ٣٢٥ لمعالجة

الخلافات التى ظهرت فى الديانة النصرانية بسبب دخول طوائف وثنية من الرومان واليونان والمصريين فيها .

وقد ناقش هذا المجمع قضية ألوهية السيد المسيح ، وبعد صراع طويل يمكن أن تقرأه فى كتب تاريخ الرومان .

استطاع المجمع أن يتخذ أول قرار بألوهية المسيح بعد أن كانت المسيحية ديانة توحيد لمدة ٣٢٥ سنة .

* * *

وفى عام ٣٨١ اتخذ القرار الثانى بألوهية روح القدس فى المجمع القسطنطينى وأصبحت الآلهة ثلاثا بعد أن كان المسيح يدعو إلى التوحيد الخالص .

فالديانة النصرانية الجديدة لم يصبح لديها من القدرة ماتضىء به الناس الطريق .

راجع محاضرات فى النصرانية لأستاذنا الكبير (محمد أبو زهرة) ص ١٢٩ ، ص ١٥١ .

اليهود :

حملوا التوراة ... ثم لم يحملوها .

كلفوا بتوصيل النور إلى الناس فأطفأوا مصابيح قلوبهم ، فماذا يمكن أن يقدموا للناس ؟

حرفوا من دينهم ما لا يتفق مع مصالحهم الوضيعة . وشوهوا صورة أصحاب الرسالات — من الأنبياء الكرام — ليبطلوا جانب الأسوة والمثل الأعلى .

كما جعلوا البيع مثل الربا . وفر رجال الدين من معابدهم ليسهموا فى الركب المادى بعد أن فلتت القيادة من أيديهم .

ولم يبق لهم من دين الله إلا شعارات كاذبة استباحوا بها دماء الناس وأموالهم .

فاليهودية أيضاً عجزت عن مد العالم بشعاع من نور الله .

* * *

سرحان : والعرب يا شيخ عارف ؟
لماذا لم تتكلم عنهم ؟

عارف : العرب حجبهم عن الهدى السماوى البعد السحيق بين ابراهيم - عليه السلام - وبين محمد ﷺ - والذى يقدر بآلاف السنين .

سرحان : لكن سلسلة من الأنبياء بشرا فى وسط هذه المدة موسى وداود وسليمان وعيسى وغيرهم .

عارف : هؤلاء جميعاً بعثوا لبنى إسرائيل فقط . فدعوتهم خاصة بأقوامهم .
« وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذوننى وقد تعلمون أنى رسول الله إليكم » ٥ الصف
فرسالة موسى لقومه فقط - وكذلك رسالة المسيح :
« وإذ قال عيسى ابن مريم يا بنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم » ٦ الصف

أما العرب فقال عنهم القرآن : « لتنذروا قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك » ٤٦ القصص

« لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم فهم غافلون » ٦ ياسين

لقد كانت الأمة العربية أسوأ العالم حالا ، وأحوجه إلى رسول .

لقد عبدوا الحجر ، وأكلوا القذر ، وسفكوا الدماء ، ووأدوا البنات ، ولعب الخمر بعقولهم ، فاستعبدوا الأحرار ، وأكلوا القمار ، واستباحوا الربا ، فماذا بقى لهم ؟

ياشيخ سرحان : لقد كان العالم كله بحاجة إلى نبي يخلصه من الضلال ، وينقذه من الهاوية .

وكانت حاجة الأمة العربية وحدها كانت تعدل حاجة العالم كله . في الناحية الدينية :

سجد الإنسان للصنم - الذى صنعه بيده ، وطلب منه جلب الخير ودفع الضر ، مع أن الذباب إن يسلب آلهتهم شيئاً لا يستنقذوه منه . ضعف الطالب والمطلوب .

سرحان : وأين ما ورثوه من دين ابراهيم ؟
عارف : لم يبق منه سوى بعض الشعائر - التي خلت من الروح وأفسدتها البدع .
وحسبك أن تعلم أن الحج تحول الى تعظيم الأصنام ، وإن الطواف بالبيت كان يتم وهم عرايا .
الشباب عرايا ، والنساء عاريات ، وتحولت التلبية إلى تصفيق وتصفير « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية » . ٣٥ — الأنفال
كيف تصفو الروح في جو من التصفيق والخمر والنساء العاريات؟

* * *

والجانب الاقتصادى لا يقل سوءاً عن الجانب الديني .
لقد جاور العرب اليهود فتعلموا منهم الربا . وبالغوا فيه فأكلوه أضعافاً مضاعفة حتى كان المدين يباع مع أنه حر وذلك من أجل سداد دينه .
ونشأ عن سوء الأحوال الاقتصادية عملية الإغارة على الآمنين وسلب أموالهم ، واستعباد ضعفائهم .

وفى جو الرعب والقلق تنشر الخمر التماسا للسكينة ، ولكنها علاج للداء بالداء . فقد قلبت موازين الأمور وهونت الفحشاء على النفوس فظهرت تجارة الجسد .

روى أن جماعة سقوا امرأة خمراً فلما لعبت الخمر برأسها سألتهم : أتشرب نساؤكم من هذا الشراب ؟

قالوا : نعم .

قالت المرأة : والله إن أحدكم لا يدرى من أبوه . إن الخمر تحسن القبيح ... وتقبح الحسن .

قال أبو النواس :

اسقنى صرفا حيا	تترك الشيخ صبيا
وتريه الغى رشداً	وتريه الرشد غياً

فساد العقيدة دفعهم إلى الربا .

وهموم الربا دفعتهم إلى الخمر .

وإدمان الخمر جر عليهم الباقى من البلاء .

لذلك كان كل شىء يؤكد الحاجة إلى نبى جديد .

الفصل الثالث

العالم بحاجة إلى نبي .

الكتب المقدسة وتبشيرها بهذا النبي .

أخلاق محمد — ﷺ — ترشحه لأمر عظيم .

السيدة خديجة استدلت بأخلاق النبي على نبوته .

هرقل : لو كنت عنده لغسلت عن قدميه .

هشام : كنت استمع إلى القرآن الكريم ووقفت عند قوله تعالى للنبي — ﷺ — وإنك لعلى خلق عظيم .

لماذا لم يقل القرآن : إن خلقك لعظيم .

الأب : كلمة (على) تفيد الاستعلاء والتمكن .

فكأن النبي تمكن من الأخلاق كما يتمكن الفارس من الفرس .

وهو يحكمها بفطرته ، بينما الأخلاق تحكم غيره من الناس لأن النبي تبدأ كمالاته النفسية من حيث ينتهي قانون الأخلاق .

هشام : تعني — يا أبي — أن النبي يوجه الأخلاق إلى حيث يريـــد ؟

الأب : أجل يا هشام .

لقد ابتدأ النبي رحلته الأخلاقية من حيث انتهت المكارم الإنسانية ، وذلك ليتمم مكارم الأخلاق :

« إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق »

هشام : لكنني أعلم ان كل نبي على خلق عظيم .

فكيف يتمم النبي مكارم الأخلاق ؟

الأب : لقد عشت مدة طويلة لا أستطيع الإجابة على هذا السؤال ، حتى فتح الله علي بفهم للموضوع أشرحه لك .

* * *

السيد المسيح – عليه السلام – عالج قضية الأخلاق واهتم بها . ورسم منهجاً لتهذيب أتباعه فقال لهم :

أحبوا أعداءكم . وباركوا لاعنيكم ، وأحسنوا إلى مبغضيكم وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم .

إنجيل متى ٥/٤٤

وقال : وإذا ضربك رجل على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر .

وهذه الوصايا خلق عظيم ، ولكنها أخلاق مثالية وليست أخلاقا واقعية ... لأن كثيراً من الناس لا يقوى على تنفيذها هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ليس كل الناس بدرجة واحدة من السمو تجعلهم يستحون ويرتدعون لو أدرنا لهم الخد الأيسر . هناك بعض النفوس لو أكرمتها ملكتها .

وإن عفوت عنها كان عفوك عن خطئهم أشد عليهم من السياط

ولكن هناك بعض النفوس إن أكرمتها فسدت ، وإن عفوت عنها طمعت فيك ، وإن رفعتهم إلى السماء سدوا باب السماء عنك ، وهذا الصنف الحقير لا يصلحه أن تدير له الخد الأيسر كما قال السيد المسيح ، بل يصلحه أن تؤدبه .

يحكى في الأدب الرمزي — أن رجلا اشترى صنما وعكف على عبادته ، وترك تجارته وزراعته .

فلما أصابه الفقر ، وضاقت به الحياة ، قام على الصنم فدق رأسه وهشمها .

فلما كسر رأس الصنم وجد به كنزا من الذهب أودعه فيه أحد الناس ثم مات .

فقال الرجل لصنمه :

ما ألأمك .. أكرمتك فأفقرتني ، وحطمتك فأغنيتني ؟
هذا الطراز الحقير من النفوس لا يصلح معها ، ولا يصلحها قانون المثالية .

ولكن يصلح معها بل ويصلحها قانون العدل .

يصلح معها قوله تعالى : وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به . ولئن صبرتم لهو خير للصابرين » ١٢٦ النحل

وقوله تعالى : ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل » ٤١ الشورى

فالإسلام جعل القصاص من الظالم - بالطريقة المشروعة - لون من الأخلاق ، مع عدم إهماله الترغيب فى العفو .

فمن عرفنا أن العفو يصلح نفسه ويهذبها فالعفو عنه أفضل . ومن عرفنا صفاقة وجهه ، وقبح سريرته - من الذين يفهمون أن العفو عنهم ضعف أو خوف منهم — فالعدل معهم أفضل ، وربما يزجرهم القصاص .

فالإسلام حول الأخلاق من مثالية فلسفية ، إلى واقعية عملية لتشمل كل الناس ، وتعالج ضعاف النفوس .

وهذا معنى كون النبى - ﷺ - بعث ليتمم مكارم الأخلاق فقد وسع دائراتها ، وعمم عطاءها .

يا هشام . . هذه الآية الكريمة « وإنك لعلى خلق عظيم »

تعتبر أصلا كريماً من أصول الدين .

إنها تؤكد صدق نبوة محمد - ﷺ -

إنها ليست مجرد امتداح لأخلاق النبى . .

ولكنها نزلت فى الأيام الأولى من الوحى لتسوق دليلا عقلياً على نبوة محمد ﷺ .

بل لعل هذه الآية هى أول دليل ساقه القرآن إلى العقل البشرى لإثبات صدق النبى . لقد نزلت بعد سورة المزمل — أى فى الأيام الأولى من الوحى .

هشام : ما علاقة الآية الكريمة بإثبات نبوة سيدنا محمد ؟

الأب : الأمر سهل . إن شاء الله .

الآية تقول للمشركين : أنتم تعرفون محمداً قبل يوم « اقرأ باسم ربك »

وتعرفون أنه على خلق عظيم - بشهادتكم له قبل الرسالة - وأول ما تفرضه عليه أخلاقه العظيمة أن يكون صادقاً . وأنتم شهدتم له بالصدق - بل سميتموه صادقاً .

والصادق إذا أخبركم باصطفاء الله له لماذا تكذبونه ؟

لقد تناقضتم مع أنفسكم . عندما كذبتم محمداً .

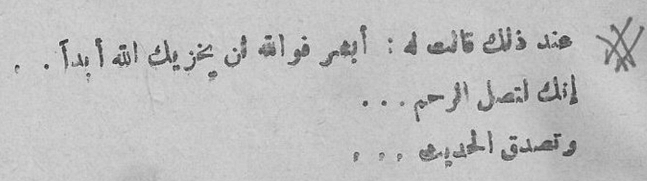
هشام : أظنك يا والدى أول من استدل بأخلاق النبي على نبوته ؟

الأب : لا ياهشام.

لقد استدلت السيدة خديجة - رضى الله عنها - بأخلاق النبي على نبوته .

فعندما نزل الوحى لأول مرة على النبى - ﷺ -
ذهب النبي إلى خديجة خائفاً يقول لها :
زملينى ودثرونى . . .

فلما ذهب عنه الروع قال لخديجة : لقد خفت على نفسى ،
وهنا تجلى ذكاء السيدة خديجة ، ودار بخلدها ماضى النبي الطويل - الذى عاشته معه وأخلاقه الشريفة - التى لمستها عن قرب - بل التى كانت سبباً فى زواجها منه .



عند ذلك قالت له : أبشر فوالله لن يخزيك الله أبداً . .
إنك لتصل الرحم . . .
وتصدق الحديث . . .

وتحمل الكل ..

وتكسب المعدوم ..

وتقرى الضيف ..

وتعين على نوائب الدهر

مقدمات ثابتة توصلت بها إلى البشارة الصادقة ، ان يخزيك الله أبداً .

وقدمت البشارة على المقدمات لتعجيل البشرى .

أو هو الاستدلال العقلى الراجح بأخـــلاقه الشريفة على إكرام الله له .

فالسيدة خديجة هى أول من استدل بأخلاق النبي - ﷺ - على نبوته .

* * *

ومن الذين استدلوا بأخلاق النبي على نبوته أيضاً « هرقل » - ملك الروم -

هشام : وماذا كان من أمر هرقل؟

الأب : زار أبو سفيان بن حرب الشام - قبل إســلامه - واستضافه هرقل ، وسأله عن النبي الذى ظهر فى بلاد العرب .

هرقل : هل كان ابن ملك ؟

أبو سفيان : لا

هرقل : لو كان ابن ملك لقلنا إنه يريد أن يعيد ملك آبائه .

وسأل هرقل :

هل يكفر أحد أصحابه بعد أن يؤمن به ؟

أبو سفيان : لا ... إنهم يزيدون دائماً ...

هرقل : هل كان يكذب فى شبابه ؟

أبو سفيان : لا .. لقد اشتهر بالصادق الأمين .

هرقل : والله .. ما كان ليدع الكذب على الناس ثم يكذب على الله . ولئن كان ما تقول حقاً فهو نبى . وسوف يملك مكان قدمى هاتين .

كنت أعلم أن نبياً سيظهر .. ولكن ما كنت أعلم أنه منكم ولو كنت أعلم أن قومى يتركونى أذهب إليه لتجشمت عناء السفر لزيارته .

ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه .

هشام : وهل أسلم هرقل - يا أبي - ؟

الأب : لا يا هشام ...

لقد خشي ثورة الرومان — ومات على دينه .

* * *

هشام : ولكن كيف عرف هذه الأشياء ؟

الأب : هرقل كان نصرانياً ، وكان على علم بالكتب السماوية، وكان يعلم - نتيجة دراسته لهذه الكتب - أن نبياً سيظهر ، وأنه سيرث الأرض ، وأنه خاتم النبيين .

هشام : هذا موجود في كتبهم ؟

الأب : وأكثر من هذا موجود في الكتاب المقدس، ولكن يد المترجمين لعبت دوراً خطيراً في طمس البشارات .

اقرأ يا هشام كتاب « عقائدنا » للدكتور محمد الصادق ، وكتاب « نبوة محمد من الشك إلى اليقين » للدكتور فاضل صالح السامرائي، وكتاب « إظهار الحق » للشيخ رحمة الله الهندي .

وكتاب « هداية الحيارى من اليهود والنصارى » للإمام ابن قيم الجوزية ، وكتاب « محمد فى التوراة والإنجيل والقرآن » للأستاذ إبراهيم خليل أحمد والذى أسلم وأصبح عضواً فى مجمع البحوث الإسلامية بعد أن كان قسيساً .

اقرأ - يا هشام - فالكتاب أستاذ أمين

هشام : فإن لم يصبها وابل فطل ..

الأب : أحسنت الطلب يا هشام .

لقد بشرت التوراة بنبينا محمد ببشارات عديدة أختار لك بشارة واحدة منها .

جاء فى سفر التثنية إصحاح ١٨ قول الله لموسى عليه السلام : أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم ، مثلك ، واجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به .

وواضح من هذه البشارة أن النبى الذى سيرسله الله ليس من بنى إسرائيل لأنه لو كان من بنى إسرائيل لقال الله لموسى : أقيم لهم نبياً منهم .

وأبناء إسماعيل هم إخوة أبناء يعقوب وأبناء عمومتهم .

وفى البشارة أنه نبى مثل موسى - أى صاحب شريعة كشريعة موسى -

وهذا الوصف لم ينطبق على أحد بعد موسى إلا على محمد
ـ ﷺ ـ والتوراة تشهد بهذا فى سفر التثنيه إصحاح ٢٤
تقول : ولم يقم بعد ذلك من بنى إسرائيل مثل موسى .

الوصف الثالث فى البشارة أن النبى ـ الذى سيرسله الله ـ
يلقى الكلام فى فمه وذلك لأنه لا يقرأ وهذا [١] واضح فى نبينا
محمد ـ ﷺ ـ

أما الإنجيل فقد بشر بنبوة محمد ﷺ . جاء فى إنجيل يوحنا
أن السيد المسيح قال لتلاميذه .

أنا أسأل الأب [٢] فيعطيكم (بارقليط) آخر ليقيم بينكم
إلى الأبد .

هشام : ماذا تعنى كلمة (بارقليط) ؟

---

(١) راجع نبوة محمد للدكتور فاضل السامرائى ص ٢٥٢
(٢) الآب ـ باليونانية معناها الخالق وليس معناها
الوالد لأن الأب بمعنى الوالد مقصورة وليست ممدودة .

الأب : يمكن أن تفهم معناها بتوسع لو قرأت كتاب « رسول الله فى الكتب السماوية ص ١٥٤ » وكتاب « قصص الأنبياء للشيخ عبد الوهاب النجار » .

ولكن تحت يدى الآن حوار لطيف جرى بين الأستاذ فتحى عثمان وبين الدكتور « كارلو » أستاذ الأدب اليونانى القديم :

فتحى : ما معنى كلمة « بارقليط » التى ذكرها الإنجيل - يا دكتور « كارلو » ؟

الدكتور : رجال الدين المسيحى يقولون : إن معناها « المسلى أو المعزى »

فتحى : لكننى أسأل الدكتور « كارلو » أستاذ الأدب اليونانى القديم ، فماذا تقول أنت .. ؟

الدكتور : أقول : بارقليط - ترجمتها - الذى له حمد كثير .

فتحى : يعنى معناها أفعل تفضيل من كلمة « الحمد » .

الدكتور : نعم ... هى كذلك .

* * *

الأب : أذكر يا هشام افعل التفضيل من كلمة - علم وكرم وحلم .

هشام : أعلم وأكرم وأحلم .

الأب : وافعل التفضيل من كلمة « حمد » ؟

هشام : « احمد »

الأب : كلمة « بارقليط » ترجمتها الحرفية « احمد » وهذا سر عبارة القرآن الكريم على لسان عيسى - عليه السلام - « ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » ٦ الصف

وهذه دقة عجيبة فى بشارة القرآن بمحمد ﷺ - مع أن النبى لم يدرس الأناجيل ، ولم يدرس الترجمة .

هشام : إنه وحى السماء . أشهد أن هذا القرآن من عند الله

ساجدة : أرهقت والدك يا هشام ، وأخذت حقنا وحقك ، لم تشبع ؟

هشام : يا أمى طالبان لا يشبعان : طالب العلم وطالب المال .

ساجدة : الأفضل يا إبنى هشام أن يتم الحديث فى المساء لنستفيد جميعاً .

هشام : دائماً رأيك سديد يا أمى .

الأب : وأنا يا هشام ؟ « ويضحك الأب »

هشام : أعظم دليل على إصابة رأيك ، وعمق بصيرتك هو اختيارك لأمى زوجة لك ، ومربية لأولادك .

الأب : أيضاً هذا مدح لأمك يا هشام - أكرمك الله - يضحك الأب وتضحك الأسرة

* * *

وفى المساء اجتمعت الأسرة على حب وهناء ، وواصل الأب من الحديث ما انقطع .

ساجدة : يحضرنى سؤال حول الآية الكريمة « وإنك لعلى خلق عظيم » .

لماذا لم يبدأ القرآن بمدح عقيدة النبى أولا ، ثم شريعته ، ثم أخلاقه .

لماذا بدأ بالأخلاق ؟

عارف : يا ساجدة ، العقيدة السليمة تدفع صاحبها للعمل الصالح . لأن العقيدة بلا عمل لون من الإيمان العقيم . وقد

رفض القرآن دعوة الأعراب - عندما ادعوا الإيمان وواقعهم يتنافى مع حقيقته (*)

(*) ذكر القرآن واقع الأعراب - وهم سكان البادية - فقال عن عقيدتهم : « الأعراب أشد كفراً ونفاقاً » ٩٧ التوبة
وقال عن كراهيتهم للزكاة : « ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرماً » . وقال عن كرههم للجهاد مع رسول الله ﷺ « وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم » . وقال عن جهلهم بكتاب الله وشريعته « وأجدروا ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله » . وقال عن وضعهم الاجتماعي فى ظل الدولة . « وممن حولكم من الأعراب منافقون »

كان هذا حالهم حتى السنة التاسعة من الهجرة - وهى السنة التى نزلت فيها سورة التوبة - التى فضحتهم - لذلك رفض القرآن دعواهم الإيمان . لأن الإيمان سلوك وطاقة . قالت الأعراب آمنا ... قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا .. ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم » . ١٤ الحجرات =

. . . .

= رفض إيمانهم، ودمجهم فى صفوف المسلمين فقط على أمل انطباعهم «لما يدخل الإيمان فى قلوبكم» وكلمة لما تفيد عدم حدوث الشىء فى الزمن الماضى مع توقع حدوثه فى المستقبل . فلا وزن لإيمان عقيم لا ينجب سلوكاً عملياً .

ولا يغيب عن القارىء الكريم أن الأعراب هم أول من ارتد بعد النبى ، وذلك لعدم تمكن الإيمان فى قلوبهم بسبب بعد سكنهم عن مسجد النبى . وحرمانهم من توجيهاته وتربيته - التى حظى بها أصحابه فأصبحوا مشاعل على الطريق .

ولأن حياتهم كانت تحبب لهم العزلة والتحرر من الارتباط بالدولة .

وناهيك بجفوة قلوبهم وغلاظة البادية التى جعلت السماء لا تختار منهم نبياً أبداً لأن النبوة عطاء ورحمة .

وهذا لا يمنع وجود عناصر إيمانية كريمة فى الأعراب =

يا ساجدة . . الإيمان سلوك . . فمن كمل إيمانه خشع لله قلبه والتزم منهجه فى العبادة ، فالله لا يعبد إلا بما شرع .

فالعقيدة الصحيحة تولد عبادة كاملة .

عناها القرآن بقوله تعالى : « ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله . وصلوات الرسول ألا إنها قربة لهم سيدخلهم الله فى رحمته إن الله غفور رحيم .   ٩٩ التوبة

وما ارتد عن الإيمان بعد النبى إلا الذين قالوا بأفواههم ما ليس فى قلوبهم ، ولم يتمكن الإيمان من قلوبهم . ورحم الله أبا بكر . لقد أعاد للإسلام هيبته عندما أدب الأعراب والمنافقين وأخضعهم لدولة القرآن . وذلك بحروب الردة - التى سير فيها أحد عشر جيشاً فى وقت واحد .

وأبو بكر بهذا العمل يعتبر أول قائد يفتح أحد عشر جبهة قتالية فى وقت واحد ومع ذلك يستطيع أن يحقق النصر .

والعبادات الكاملة تهذب الأخلاق وتزكيها .

« خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها »

١٠٣ التوبة

« إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » ٤٥ العنكبوت

« فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج » ١٩٧ البقرة

فالعبادات مدرسة عملية للأخلاق .

فمن كملت أخلاقه فقد كملت عباداته وصحت عقيدته .

والحاصل على الدكتوراه لا بد أنه حصل على ما قبلها من الدراسة وتفوق فيها .

فالله - سبحانه - عندما امتدح أخلاق النبى - صلى الله عليه وسلم - فقد أثنى على دينه وخلقه .

العقيدة الصحيحة توصل الى العبادات المرضية

والعبادات توصل الى الأخلاق العالية

محمد كملت اخلاقه فقد كملت عباداته وعقيدته .

الفصل الرابع

• المستشرقون ومنهجهم فى السيرة
• محمد المثل الكامل للانسان

« فيلب حتى »

• كل مصادرنا تجمع على طهارة خلق محمد

« وليم ميور »

• لقد امتزجت العدالة والرحمة فى نفس محمد

« فغليرى »

* * *

كتاب تاريخ الشعوب الإسلامية وخطره على الشباب
• « نيوجين » أعماه الحقد على نبى الاسلام

فى غرفة المكتبة جلس الشيخ عارف على مكتبه ، جلس بين الكتب ليربط فكره بفكر الآخرين ويستمتع بجواهر المكتبة العربية والاسلامية . وفى عمق الدارس، وذكاء المربى ، وبصيرة الداعى يمر الوقت خفيفاً خفة النسيم .

ما أجمل الكتاب .

جليس لا يمل ، ومرشد لا يمن بعطائه .

ودخلت - ساجدة - زوجة الشيخ ودار هذا الحوار :

. . .

ساجدة : « تبتسم » وتقول للشيخ عارف : لقد بدأت أغار من الكتب كأنك متزوج بثلاث نساء غيرى .

عارف : كل رجل عبقرى خلفه امرأة عظيمة .

ساجدة : تعنى أنك عبقرى ؟

عارف : لا . . . بل أعنى أنك عظيمة . . .

ساجدة : إنى أحب الكتب لأنها بستان ، وثمار قراءتك ينتفع بها الجميع ، وأنت لا تستطيع أن تطعم أو تكسو كل أصحابك ولكنك تستطيع أن تهب السعادة بالكلمة المؤمنة .

لا خيل عندك تهديها ولا مال

فليسعد النطق ان لم يسعد الحال

« يدق الباب ويحضر وائل يحمل حقيبة من الكتب ، ودار حوار طويل »

وائل : انشغلت فى هذه الأيام بالقراءة عن النبى ﷺ .

عارف : أحسنت يا وائل .

يجب على كل مسلم أن يدرس سيرة النبى الكبير وأصحابه ، وذلك ليجعل من حاضره امتداد لعظماء الأمة .

والأمة التى تنسى عظماءها ، وتحاول عزل نفسها عن ماضيها مثلها كمثل رجل فقد ذاكرته فهو لا يدرى من أين جاء ، ولا أين يذهب . أو هى كلقيط مقطوع النسب لا يعرف أصله . إن الإنسان يمتاز على الحيوان بدراسة التاريخ .

فالفأر يموت فى المصيدة التى مات فيها أبوه ..

وتبقى نفس العصيدة لتستقبل الأجيال الجديدة .

إدرس التاريخ فإنه مدرسة ..

ولعلك تخيرت الأساتذة الذين قرأت لهم .

وائل : كلهم من كبار مفكري الغرب .

إننى أحب منهج علماء الغرب فى الكتابة لما لهم من سعة اطلاع وحيادية علمية .

عارف : كنت أود أن تعرف الحق من أهله أولا .. ثم تقرأ ما شئت بعد ذلك ولمن شئت ..

وائل : اطمئن يا شيخ عارف .. إنهم منصفون .

لقد قرأت للدكتور « فيليب » قوله :

« لقد تركت أعمال محمد اليومية وسلوكه فى الأمور الخطيرة والبسيطة ، أبعد الأثر فى النفوس ، بحيث أصبحت قدوة يقتدى بها الملايين إلى يومنا هذا .

ولم يحدث أن اعتبر شخص واحد – عند أى طائفة من طوائف الجنس البشرى – المثل الكامل للإنسان فقلدت أفعاله

بمنتهى الدقة كما حدث لمحمد »

« تاريخ العرب دكتور فيليب حتى ص ١٦٦ »

وهذا غاية الإنصاف من كاتب لا يؤمن بالإسلام .

. . .

وقرأت للعالم « وليم ميور »

تجمع كل مراجعنا التى ـ درسناها ـ على طهارة محمد وأنه صورة نادرة بين أهل مكة بسبب ما وهب من عقل راجح ، وذوق دقيق ، وعمق فى التأمل .

« الفكر الخالد لمحمد على ص ٢٠ »

عارف : جميل يا وائل . .

ولكن ما رأيك فى كلام « وليم ميور » الذى ذكرته ؟

وائل : إنصاف عظيم لأخلاق النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لقد قال عن النبى :

عقل راجح ، وذوق دقيق ، وعمق فى التأمل . .

عارف : هل لاحظت يا وائل أنه نسب عظمة النبى إلى

عبقريته ولم يشر الى النبوة .

انه يصور النبى على أنه مجرد مصلح اجتماعى أو فيلسوف .

والفارق بين النبوة والعبقرية كبير ..

والنبى — ﷺ — قد جمع بينهما .

« الله أعلم حيث يجعل رسالته »   ١٢٤ الأنعام

وائل : سبحان الله .

لقد غاب عنى هذا الأمر .

. . .

لكننى قرأت للعالمة « فاغليرى » فى كتاب دفاع عن الاسلام ص ٢٣ : قولها :

لقد كان محمد شديد التسامح ، وبخاصة مع أتباع الأديان الموحدة لله .

وهو ملتزم بمبدأ « لا إكراه فى الدين »

لقد امتزجت العدالة والرحمة فى نفسه .

هذا كلامهم يا شيخ عارف .

فماذا نريد من كتاب الغرب أعظم من هذا الوصف ؟

عارف : لا نريد منهم شيئاً .

ولكن نريد منك ومن الشباب المسلم أن يعرف منهج علماء الغرب .

لقد وضعوا خطة خبيثة فى كتبهم عن الإســـلام . وفى سيرة النبى بالذات .

وائل : خطة خبيثة ؟

عارف : نعم . . كل شىء فى الغرب مدروس ، ويسير على خطة .

إنهم يكتبون ألف كتاب عن النبى .

كل كتاب يحتوى على مائة صحيفة مثلا .

يحاول الكاتب أن يمدح النبى فى تسع وتسعين صحيفة ،

ويضع نقطة السم فى صحيفة واحدة .

فامتداحهم للنبى يروج الكتاب بين المسلمين .

ويشعرهم بأنهم أمام كاتب محايد يتحرى الحق فقط .

مما يجعل العقل يتقبل نقطة السم ولا يشعر بمذاقها .

يا وائل .. إن نقطة السم لا يظهر طعمها فى طبق العسل .

ولكن فعلها فى المعدة لا ينكر .

فإذا طعن كل كاتب فى جانب واحد من حياة النبى فإن مجموع كتبهم كفيلة أن تشوه الإسلام ، وتفسد سيرة نبيه .

وائل : هكذا يفعلون يا فضيلة الشيخ ؟

الشيخ : وأكثر من هذا يفعلون .. والمسلمون فى غفلة .

ياوائل .. لقد ظهرت مجموعة من الكتب يدعى فيها المستشرقون أنهم يبذلون جهوداً كبيرة ، وينفقون أموالا واسعة فى سبيل التبشير بالنصرانية — فى أفريقيا وآسيا — ولكنهم يواجهون مشكلة صعبة تعوق رسالتهم — هذه المشكلة فى ادعائهم هى أن الاسلام ينتشر وحده — فى هاتين القارتين — بدون أى جهود من المسلمين .

وهذه كلمة حق يراد بها باطل :

وائل : أى باطل فى هذه الشهادة العظيمة — التى تبشر بكل خير ؟ .

عارف : ياوائل : الأمر أخطر مما تتصور . بل مما يتصور كثير من المسلمين عندما يفرحون بهذا الكلام ويرددونه فى مقالاتهم وعلى بعض المنابر .

إن المبشرين يهدفون — من وراء هذه الكلمات المعسولة إلى تقاعد المسلمين وتخدير هممهم .

فما دام الإسلام ينتشر وحده — كما يقول المبشرون - فما هو الداعى لهجرة الدعاة وإنفاق الجهد والمال ، فى سبيل نشر الإسلام فى هذه البلاد ؟ ؟

لقد تقاعد المسلمون ، وتكاسل الدعاة ، وانصرفت كثير من الهيئات الاسلامية عن رسالتها .

انصرفت إلى خلافات نظرية ، ومعارك فكرية يعلم الله أن الاسلام لا ناقة له فيها ولا جمل .

لقد نامت الأمة الاسلامية فى النور .

بينما استيقظ اعداؤها فى الظلام وجدوا السير .

إن واقع المسلمين اليوم - كمصاب فى حادث نقل إلى غرفة العمليات لاسعافه فظل من حوله يقلمون أظافره ويمشطون شعره - والمصاب يحتضر .

الغرب يخدعنا ياوائل :

وسوف أثبت لك صحة فهمى لكتابات المستشرقين .

* * *

هات كتاب (حضارة الاسلام) واقرأ ص ١٣٤ اقرأ فى سرك .. فأنا لا أحب أن أسمع .

واحكم أنت على ما تقرأ .

« يقرأ وائل وتبدو عليه علامات الاستغراب »

وائل : عجباً ... أين الإنصاف - الذى يدعيه علماء الغرب . ؟

وأين الحياد ؟

إنه يدعى أن المسلمين نسبوا إلى النبي بعض المعجزات المسيحية والبوذية ليشبعوا رغبة العوام .

بل يدعى أن النبي نفسه كان ينسب إلى نفسه هذه المعجزات ليخرج نفسه من طبيعته البشرية . كى يظهر فى صورة الأنبياء .

عارف : عجباً ياوائل . . الأمور الخارقة للعادة ـ المعجزات ـ إن نسبت إلى البوذية يعتبرها المؤلف حقائق ثابتة — مع أنه لا يؤمن بالبوذية — وإن نسبت إلى نبى الاسلام — وثبتت نسبتها تاريخيا — يعتبرها « جوستاف » خرافة وأساطير .

لأنهم يكرهون الاسلام ياوائل .

ولو كلف « جوستاف » نفسه أن يدرس شيئاً عن موقف النبى من الأمور الخارقة للعادة لعلم جهله الشديد بهذا النبى العظيم .

لعلك تذكر ياوائل يوم وفاة إبراهيم ابن النبى ﷺ — لقد صادف خسوف الشمس .

وهذه ظاهرة طبيعية يمكن أن تحدث فى أى وقت .
ولكن بعض الصحابة ربط بين هذه الظاهرة وبين موت

إبراهيم — عليه السلام —
وقالوا خسفت الشمس لموت إبراهيم.
قالوا هذه الكلمة عزاء للنبي.
ومقام العزاء يتسع لمثل هذه المجاملات.
أو قالوها اعتقاداً بصحتها.
وكان النبي — ساعتها — يعاني من آلام فراق ولده.
وكان يمكن للنبي أن يستمع لهذه المقالة ويسكت ولا لوم عليه لأنه مشغول بدفن ولده.
ولكن النبي العظيم — أستاذ الحقيقة .. لم يقبل أن يعزى بما يخالف الحقيقة.
كان يمكن للنبي أن يسكت ليترك هذه المقالة تشيع بين العرب، فيوقن أتباعه، ويؤمن أعداؤه.
ولكن النبي جفف دمعه، ووقف في الناس معلماً يقول: الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى الصلاة.
إن الحقيقة يا وائل ..

والحقيقة وحدها .. هى الأساس الذى بنى عليه النبى دعوته .

أين هذا من افتراء « جوستاف » — الذى يدعى أن النبى كان ينسب الخوارق إلى نفسه ؟ !

* * *

وأمامك يا وائل كتاب « تاريخ الشعوب الإسـلامية » تأليف « كارل بروكلمان » .

إقرأ السخافات العقلية التى وضعها هذا الكاتب فى كتابه . إن كل سطر منه يحتاج إلى ردود طويلة .

إنه يدعى أن النبى تدرج فى مسألة التوحيد ولم يعرف التوحيد الخالص فى السنوات الأولى من بعثته .

ولو كلف هذا الكاتب نفسه أن يقرأ السور الثلاث الأول التى أنزلت على النبى فى فجر الوحى لأدرك صورة التوحيـد الخالص الذى لم يرق إليه دين إلا الإسلام .

فمنذ الأيام الأولى للوحى والقرآن يؤكد قضية التوحيد « اقرأ باسم ربك ، لا باسم صنم أو بشر . لأن ربك هو الخالق لأن ربك هو الأكرم ، ولأن ربك هو المعلم .

وتأتى سورة المدثر : وتؤكد ضرورة تكبير الله ، وطهارة النفس والقلب والثوب من كل دنس .

أما سورة المزمل : فمنهج التوحيد فيها واضح « رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا » ٩ المزمل .

فأى توحيد أكمل من هذا التوحيد — الذى عرفه النبى منذ الشهور الأولى من الوحى ؟

وهل عرفت ديانة الكاتب - إن كان عنده دين - توحيداً أرقى من قوله تعالى : رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو . فاتخذه وكيلا ؟

• • •

ويقول فى ص ٧٨ . من نفس الكتاب .

يتحتم على المسلم أن يعلن غير المسلم بالعداوة حيث وجده

لأن محاربة غير المسلمين واجب دينى .

هل قرأت يا وائل هذا الافتراء ؟

هل الإسلام يفرض على المسلم أن يعلن الحرب على جميع خصومه ؟

وائل : عجباً لهذا الكلام ..

إن « فاغايرى » تقول : لقد كان محمد شديد التسامح . وبخاصة مع أتباع الاديان الموحدة لله .

عارف : ولو قرأ هذا الكاتب سورة الممتحنة لرأى تسامح الاسلام مع الذين يخالفونه فى العقيدة — بشرط أن لا يحاربوا الاسلام . قال تعالى : لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم . ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » ٩ الممتحنة

وهناك فارق كبير بين الدعوة إلى الاسلام وبين إكراه

الناس على الدخول فيه .

كما أن الفارق كبير بين الفتوحات الاسلامية - وهى التحا
جيشين — وبين انتشار الاسلام وهو مسألة فكر واقتنا
وحرية .

وحسبك أن تعلم أن بعض البلاد تم فتحها عسكريا وبق
الناس فيها على دينهم . كبلاد الاندلس — وقد كفل له
حرية عالية .

كما أن كثيراً من بلاد العالم انتشر فيها الاسلام بدون أن
تفتح عسكرياً .

. . .

وائل : لقد انخدعت بدعوة المستشرقين ، وغرنى ادعاؤ
الحياد والموضوعية .

وأملنا أن يوفق الله علماء المسلمين فى نشر مثل هذا الحوا
ليفضحوا خطة الغرب وخصوم الاسلام .

إن أقلامهم أخطر من سلاحهم .

ويجب أن تحصنوا الشباب من الأفاعى .

عارف : الحمل ثقيل يا وائل .

وجهاز الإعلام الإسلامى فقير .

إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة . . . ولى نعجة واحدة . . . فقال أكفلنيها وعزنى فى الخطاب » ٢٣ ص

يا وائل جهاز الإعلام الإسلامى فقير .

لم يبق للإسلام إلا المنبر — فسامح الله الذين يأخذون الإسلام ولا يقدمون له .

* * *

لو قرأت أوصاف المسيح فى القرآن لعلمت أن القرآن أتى على المسيح هالة الجمال والكمال .

قال تعالى على لسان المسيح :

« قال إنى عبد الله . . .

آتانى الكتاب وجعلنى نبيا .

وجعلنى مباركا أينما كنت ،

وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا
وبراً بوالدتي ..
ولم يجعلني جباراً شقيا ..
والسلام عليّ يوم ولدت ..
ويوم أموت ..
ويوم أبعث حيا »

٣٣ مريم

أما في سورة آل عمران آية ٤٥ ، ٤٦ ، فقد جاء قوله تعالى :

« اسمه المسيح عيسى ابن مريم ..
وجيهاً في الدنيا والآخرة ..
ومن المقربين ..
ويكلم الناس في المهد وكهلا ..
ومن الصالحين .

وقد دافع القرآن عن مريم ، وأثبت عفتها وطهارة منبت
وعظيم أصلها .

فأصلها ثابت « إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم
وآل عمران على العالمين . ذرية بعضها من بعض والله سميع
عليم »   ٣٤ آل عمران .

وهى محفوظة من الشيطان منذ ولادتها لدعاء أمها .
« وإنى سميتها مريم وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان
الرجيم . فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسنا . وكفلها
زكريا .   ٣٧ آل عمران

فهى طيبة الأصل والبذرة والبيئة والراعى .

ثم صادفها اصطفاء الله لها على نساء العالمين ..
« وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك ... وطهرك
واصطفاك على نساء العالمين »   ٤٢ آل عمران

وائل : هل نفهم من هذه الآية أن مريم – عليها السلام –
أفضل عند الله من نساء النبى ؟

عارف : يا ولدى . . لا مجال للمقارنة بين أى امرأة وبين
أمهات المؤمنين – نساء النبى ﷺ .

لأن الله قال عن نساء النبي « يا نساء النبي لستن كأحد من النساء »   ٣٢ الأحزاب

فالقرآن دافع عن عيسى وعن أمه .

فليت علماء الغرب يتأدبون بأدب المسيح .
ولكن كيف نكلفهم بأدب المسيح وهم لم يتذوقوا حلاوة دينه — الذى نزل من عند الله —

إن حركة التبشير العالمية تمهد لغزو فكرى يبارك الاستعمار الغربى ويخدم مصالحه .
وما أبعد الوسيلة والغاية عن رسالة السماء .

القرآن يمتـــدح عيسى بما هو أهله ، ويدافع عن أمه ، والكاتب « نوجين » — الذى يلبس ثوب الرهبان ويحمل قلم الأفاعى ، يقول عن أشرف الخلق محمد — ﷺ — :
إن محمداً حرم لحم الخنزير لأنه كان سكران ونام فوق كوم عال فأتى الخنزير وعضه . فقام محمد وحرم لحم الخنزير على أمته .

وأسأل هذا الكذاب الحاقد :

لماذا حرمت التوراة لحم الخنزير ؟

هل هناك خنزير عض موسى ـ ياسيادة الفيلسوف ـ فحرم موسى لحم الخنزير على أمته .

وائل : التوراة تحرم لحم الخنزير ؟

عارف : أجل ياوائل .

جاء فى سفر التثنية ما يؤكد تحريم لحم الخنزير .

وائل : يعنى لحم الخنزير حرام فى شريعة موسى وفى شريعة محمد ـ ﷺ ـ .

عارف : وفى المسيحية أيضاً . أعنى المسيحية التى جاء بها عيسى لأن السيد المسيح اعترف بشريعة موسى وأقرها :

وقال : ما جئت لأنقض الناموس .

لكن (بولس) ـ الذى دخل المسيحية بعد عيسى عليه السلام استطاع أن يطمس الشريعة ويبطلها .

لقد زعم (بولس) أن بقاء الشريعة يعنى بقاء الخطيئة . فلابد أن يتخلص الناس من الشريعة ، لكى يتطهروا من الخطيئـــة .

جاء هذا فى رومية ٣ — ٢٠ قال بولس :
ما دامت الشريعة قائمة فالخطيئة ترتكب ، ولكن المسيح أبطل الشريعة . فبطل ارتكاب الخطيئة .

وائل : المسيح قال : ما جئت لأبطل الشريعة بل لأ كملها !
عارف : وبولس قال : إن المسيح أبطل الشريعة ليخلصنا من الخطيئة .

معنى كلام بولس أن الشرطة والقضاء هما سبب الجرائم . فلا بد من إبعاد الشرطة وهدم دور القضاء حتى يسلم المجتمع من الجرائم .

وائل : هذا منطق معكوس ..
عارف : لذلك قال بولس بعد أن نجح فى صرف الناس عن الشريعة : الآن تحررنا من الشريعة . رومية ٧ — ٦
فلحم الخنزير حرام فى الديانة اليهودية بالنص ، وحرام فى ديانة عيسى لإقراره بشريعة التوراة ، وحرام فى الاسلام لأن الاسلام يحل الطيبات ويحرم الخبائث فكيف يجرؤ كاتب مثل « نوجعين » على مثل هذا المقال ؟

وأين الموضوعية والحيادية وأمانة البحث التى يدعيها علماء الغرب ؟

ومن أى مصدر تاريخى نقل الكاتب القذر مثل هـذا الهـراء ؟

إنى على ثقة أن مثله لو كتب عن نجوم السينما ، وشعراء الخمر ، لكتب قلمه بلا مداد .

أما عندما يكتب مخمور عن سيد الخلق ، وحاقد عن نبى الرحمة ، وماجن عن أستاذ الشرف ، فلا نتوقع إلا هـذا الهـراء .

إن الإناء القذر يفسد اللبن الصافى !

وائل : هل يمكن أن نعرف شيئاً عن سر تحريم لحم الخنزير .

عارف : الأصل فى اجتنابنا لحم الخنزير أن الله حرمه علينا بنص القرآن . « إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير » سواء عرفنا سر التحريم أو لم نعرفه . وصحابة النبى ﷺ — تلقوا أوامر القرآن بالطاعة ،

ونواهيه بالاجتناب احتراماً لقداسة القرآن .

ويخطىء بعض الشباب عندما يعتقد أن الحكم يرتبط بالعلة العقلية فقط ، ويهمل النص الكريم .

فالزنا حرام . . .

سواء حدث منه حمل واختلاط أنساب أو لم يحدث .

إن بعض الشباب اعتقد حرمة الزنا لأنه يسبب اختلاط الأنساب ، فلما اكتشف الطب « وسائل منع الحمل » .

تصور أن تحريم الزنا أصبح بلا جدوى .

إن الأصل فى التحريم هو النص .

وقداسة النص باقية إلى يوم القيامة .

أما معرفة العلة فهى عامل يحض على إطاعة الأمر فقط .

بعد ذلك يمكن أن أقول :

- الخنزير لا يتخلص إلا من ٢٪ من حامض البوليك ويحتفظ بالباقى فى لحمه . مما يسبب آلام المفاصل عند آكله .

- وهو يسبب الدودة الطويلة :

وهذه الدودة تختلف عن الدودة التى يسببها لحم البقر .

لأن جرثومة لحم البقر تقتلها نيران الطهى .

أما جرثومة لحم الخنزير فلا تقتل .

- وهو حيوان يأكل القاذورات . وإذا وجد بها حيوانا ميتاً أكله ، والإسلام يحرم أكل الحيوان الذى يأكل اللحم . إلا السمك - فإن الله أحله لنا بنص قرآنى كريم « أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة » ٩٦ المائدة .

وائل : لكننى أعلم أن العلم الحديث استطاع أن يقتل جرثومة الدودة الطويلة فى لحم الخنزير .

عارف : يقتلها من كل الخنازير أم من بعضها ؟ :

وائل : من الأنواع التى تربى بوسائل علمية ، وتطهى بوسائل علمية .

عارف : وبقية الخنازير ماذا قدم العلم لها ؟

يضيف بعض علماء طباع الحيوان سبباً آخر لتحريم الخنزير وهو أن كل من أكل من لحم حيوان معين يتأثر بطباعه . والخنزير لا يغار على أنثاه ، فإن صح قولهم فلعل هذا هو سبب برود الرجل فى أوربا وعدم غيرته .

وائل : تبقى كما هى . . .

عارف : ما كان الله ليذر عباده ضحية الأمراض - التى يسببها هذا الحيوان — حتى يأتى للعلم ليعالجها .

والأصل فى التحريم هو النهى الإلهى - كما قلت لك وليس الأصل هو إدراك العلة .

إن بعض الذين تحدثوا فى فضل الصيام وحكمته قالوا : إن الله شرع الصيام ليشعر الغنى بآلام جوع الفقير .

وهذا كلام مقبول ولطيف :

ولكن عندما قاله أحد الخطباء فى « أفغانستان » وعزم الشباب على الصيام . . .

جاء أحد الملاحدة — هناك — وقال للشباب :

الصوم يهذب الأغنياء ليشعروا بالفقراء .

فلماذا نصوم نحن الفقراء ؟

فأصبح الشباب مفطراً ، إعتقاداً منهم أن الحكم يدور مع

العلة ، ولا يدور مع النص الثابت[1] .

وائل : هل هناك أحكام تغيب الحكمة منها على المسلمين ؟

عارف : هل كل المسلمين يدركون علة الأحكام وحكمها ؟

وائل : لا . . .

عارف : قلت لك : أن صحابة النبي يوم أن اجتنبوا لحم الخنزير لم يسألوا النبي عن الحكمة من التحريم .

ولكن قالوا : سمعنا وأطعنا ، لأنهم أيقنوا أن النهى جاءهم من الله ، والله أعلم بسر الكون .

إن منهج تربية الجنود يستلزم إحترام الأوامر وإن غابت الحكمة عن الجنود .

فمثلا إذا أردنا أن ندخل معركة لتحرير القدس ، فعلينا أن نقنع الجنود بهدفها العام ، ونؤكد شرف المعركة .

أما عندما تدور المعركة ، ويصدر القائد أمره إلى بعض

---

(١) روى لي هذه الحادثة أحد العلماء الأجلاء وقد وفقه الله وشرح أسرار الصيام ، وفرضيته بما أعاد الشباب إلى الصيام مقتنعين .

الجنود أن يتقدم، أو يتجه إلى مـــكان معين فيجب عليهم احترام الأوامر وعدم مناقشة السبب ، حفظاً على الوقت وسرية الخطة العسكرية .

وهذا مانسميه فى العرف الإسلامى « أمور تعبدية »

وائل : هل تتعارض الأمور التعبدية مع احترام الإسلام للعقل ؟

عارف : لا ياوائل .

لأن الإسلام يقنع العقل بالأمور الاعتقادية ـ كوجود الله ونزول القرآن من عند الله ، ونبوة محمد ـ ﷺ فإذا ثبتت هذه القضايا فى النفس فالطاعة بعد ذلك واجبة وأضرب لك مثالا واحداً إذا خرج رجل ـ تثق فى صدقه ـ من بيت وقال لك : لا تدخل البيت لأن فيه وحشاً هائجاً ، فان صدقته نجوت. وإن خالفته دفعت الثمن غالياً . . .

وائل : الحمد لله الذى هدانا للحق . . وأنار لنا الطريق . إن ديننا غنى عن أباطيل خصومه . .

لقد فضحت منهجهم ، وأثبت حقدهم .

بارك الله فيك أستاذاً . وأباً لتلاميذك .

عارف : لا أمنعك من القراءة للمستشرقين . . .

ولكن اقرأ قراءة الحاكم عليهم ، لا قراءة المخدوع بهم ،
فإن الحق أبلج . والله معك . .

* * *

الفصل الخامس

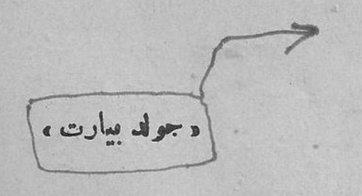
١ — مصدر القرآن فى زعم المستشرقين

٢ — قصة الراهب بحيرى .

إن صدقتها فهى دليل على نبوة محمد .

وإن كذبتها فهى دليل على نبوة محمد .

٣ — هنا الحقيقة . . .



ذو القعدة عام ١٣٩٥ هجرية .

وكان الشيخ يستعد للسفر لبيت الله الحرام ، ووفود المهنئين تملأ البيت وإذا بطارق يدق الباب . إنه المهندس البلجيكي « جولد بيارت » دله على الشيخ احد الشباب المسلم فى لبنـــان - عندما قال له :

لقد حضرت إلى البلاد الإسلامية لأبحث عن الحقيقة .

ودار حوار طويل نذكر بعضه - بقدر ما تسمح هذه الصفحات وقد نشر بعضه فى كتاب : « المال فى القرآن » عام ١٩٧٦ .

* * *

جولد : لقد سافرت إلى تركيا ولبنان بحثاً عن الحقيقة . وفى فنادق لبنان التقيت بالشاب العراقى الأستاذ . وليد المشهدانى - فدلنى عليك .

جئت فى اليوم الثانى مباشرة لأننى متعطش للحقيقة . وآمل ان اجدها فى بغداد عاصمة الحضارات الإسلامية .

الشيخ : عن أى شىء تبحث يامستر جولد ؟

جولد : هل لدى الشيخ مايقنع المعاصر بنبوة محمد ؟

الشيخ : القرآن هو الدليل الدائم على نبوة محمد - ﷺ -

جولد : الذى لا يؤمن بنبوة محمد لا يؤمن بالقرآن .

وليد مع شباب بغداد حى تميم شارع ابو غريب

الشيخ : لا أعنى أنى سأقرأ عليك قول الله تعالى : « محمد رسول الله » ٢٩ الفتح

ولا قوله تعالى : والله يعلم إنك لرسوله »

١ المنافقون

فنحن لا نناقش بالقرآن إلا من يؤمن بأنه منزل من عند الله.

ولكن أعنى أنى سأحاول أن أثبت لك أن هذا القرآن منزل من عند الله عن طريق المناقشة العقلية .

وبعدها من السهل أن تدرك أن محمداً رسول الله .

جولد : هذا صحيح إذا تيسرت لك أدلة عقلية .

فقد قرأت كلاماً متناقضاً لكتاب الغرب .

قرأت للكاتب « ارفنج ، ودرمنغام، ورينيه ، وكارل بروكلمان» وغيرهم .

قرأت لهم أن محمداً التقى ببعض الرهبان والأحبار وتعلم منهم القرآن [1] .

---

(١) يقول كارل فى تاريخ الشعوب الاسلامية : فلعله اتصل بجماعات من النصارى كانت معرفتهم بالتوراة والإنجيل =

بل قرأت أن المسلمين تمموا القرآن — بعد موت محمد .

« الشيخ يضحك » ويقول :

المسلمون تمموا القرآن بعد موت محمد ؟

هذا كلام عجيب ..

لقد قال صاحب كتاب حضارة الاسلام :

إن القرآن لم يزد شيئاً ولم ينقص شيئاً منذ وفاة محمد .

بل أكثر من هذا أنه قال : حتى ترتيب السور والآيات لم يحدث فيها أى تغيير .

جولد : قرأت هذا فعلا .

أنا حائر لتناقض علماء الغرب فى أمر محمد .

الشيخ : أضرب لك مثالا واحداً لأمانة الأمة فى الحفاظ على القرآن .

= هزيلة إلى حد بعيد ص ٣٤ ونسأل « كارل » إذا كان القرآن وليد معرفة هزيلة بالكتاب المقدس فلماذا عجز أصحاب المعارف الواسعة أن يأتوا بمثله عندما تحداهم القرآن ؟ وسوف نقارن بين القرآن وبين كتابكم المقدس الذى تدعونه مصدراً للقرآن .

كون أبو بكر - خليفة النبى الأول - لجنة لجمع القرآن فى نسخة واحدة تحفظها الدولة .

وعين عمر بن الخطاب وزيراً للدولة فى شؤون جمع القرآن . وحدث أن اختلفت اللجنة مع عمر فى حرف واحد من سورة التوبة .

قرأ عمر « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار الذين اتبعوهم بإحسان . قرأ الذين اتبعوهم بدون واو — على انها بدل أو عطف بيان . آية ١٠٠ التوبة

وقرأت اللجنة « والذين اتبعوهم بإحسان » على أنها عطف نسق ، وقراءة اللجنة ينبنى عليها دخول كل متبع للسابقين فى رحمة الله ورضوانه .

فطلب عمر بن الخطاب من اللجنة أن تنتظر القراء الذين هاجروا إلى سوريا والعراق ومصر والذين سيجمعهم موسم الحج ليسألوهم عن هذا الحرف .

وجاء موسم الحج وحضر القراء — الذين حفظوا القرآن على يد النبى ﷺ وأكدوا وجود الواو .

فكتبها عمر ، وتنازل عن قراءته .

جولد : إلى هذا الحد بلغت أمانة النقل ؟

الشيخ : لقد قال زيد بن ثابت - رئيس لجنة جمع القرآن - لأبي بكر الصديق - رضى الله عنهما - والله لو كلفتني نقل جبل لكان أهون على من كتابة القرآن . وذلك لشعوره بالأمانة الثقيلة في نقله — فكيف يدعى كاتب غربي - في عصر سهل فيه تبادل المصادر والكتب مثل هذا الرأى ؟

يا مستر جولد . إن المؤسف حقاً أن كتاب الغرب إلى اليوم يرددون الاتهامات التي وجهها رجل البادية إلى الإسلام — في عصر الجاهلية — بل والأكثر من هذا أنهم يفسرون الظاهرة القرآنية بنفس التفسيرات الجاهلية .

إن أقلامهم امتداد للجاهلية الأولى ، باسم العلم وأمانة الدراسة . إنهم كالقطط الشريدة التي تبحث في القمامة عن فضلات الطعام .

وسوف أناقش معك هذه الأوهام بشيء من الإيجاز لأنى أستعد للسفر غداً إن شاء الله .

المستشرق « نيو فانز » قال :

محمد تعلم القرآن من رهبان لقيهم فى رحلاته إلى مصر وإلى الشام .

وهذا كلام يؤكد جهل الكاتب بحياة محمد .

لأن محمد لم يسافر إلى مصر طيلة حياته .

لا قبل النبوة ولا بعدها .

المستشرق « دور منغام » قال :

التقى محمد ببعض الرهبان فى قرية « مدين » وكان محمد فى قافلة تجارية فتعلم منهم . اهـ

ولو كلف هذا الكاتب نفسه أن يدرس (خريطة بلاد العرب) لعلم أن القوافل من مكة إلى الشام لا تمر على قرية مدين . لأن مدين فى سيناء . والقوافل لا تمر بسيناء .

ألست معى يا مستر جولد أن من يجهل هذه الأوليات التاريخيـــة والجغرافية أولى به أن يستحى ولا يكتب عن محمد ؟

جولد: هل تعنى أن محمداً لم يلتق فى حياته بأحد من الرهبان ؟

الشيخ: لا أعنى أنه لم يلتق بأحد من الرهبان.

لقد التقى براهبين يعرفهما التاريخ جيداً

ولم يكن وحده هو الجالس إليهما.

الراهب الأول: اشتهر باسم بحيرى.

وكان عمر النبي يومها لم يتجاوز الثانية عشرة، عندما رغب أن يسافر مع عمه أبى طالب إلى الشام.

وأثناء لقاء الصبي محمد بالراهب العجوز كانت القافلة كلها تجلس معه.

وأمعن الراهب فى محمد — ﷺ — وسأل:

الراهب: ابن من هذا ؟

أبو طالب: ابنى

الراهب: لا. إنه يتيم.

أبو طالب: ابن أخى.

الراهب: صدقت. ما ينبغى أن يكون له أب — على

قيد الحياة - ثم نصح الراهب أبا طالب فقال :

يا أبا طالب . ارجع بابن أخيك .

فإني أخاف عليه يهود الشام أن يقتلوه .

يا مستر جولد .

من يؤمن بصدق هذه القصة - من كتاب الغرب - ويروج لها - عليه أن يسأل نفسه :

كيف عرف الراهب أن محمداً يتيم؟

ولماذا خاف عليه من يهود الشام ؟

كيف تعلم النبي من الراهب - في ساعة من نهار - أصول دعوة ومنهج أمة ؟

لماذا سكت محمد - ﷺ - ثمانية وعشرين عاماً بعد لقاء الراهب ؟

لماذا لم يقل أصحاب القافلة لمحمد : كنا معك عندما سمعت هذا المقال من الراهب ؟

يا مستر جولد ..

إن قصة الراهب دليل على نبوة محمد

وليست تفسيراً لظاهرة الوحى - كما يدّعى علماء الغرب .
جولد : ربّما تكون القصة موضوعة ولا أصل لها .
الشيخ : من يدع ذلك يلتزم بالنتيجة المترتبة على الإنكار
وهى أن محمداً لم يتعلم من الراهب شيئاً .
فإنكار القصة يثبت نبوة محمد .

وإثبات القصة يثبت نبوة محمد . ويثبت أنه مذكور فى الكتب
السماوية السابقة - التى درسها الراهب .

جولد : حوار منطق فعلا ، لا يملكه علماء الغرب - الذين
يعرضون آراءهم على أنها مسلمات لا تناقش .

ومن الراهب الثانى - الذى لقيه محمد - ؟

الشيخ : راهب فى مكة ..
اسمه « ورقة بن نوفل »
وقد زاره النبى بعد نزول الوحى عليه لأول مرة .
ولم يكن النبى يعرف أن الذى نزل عليه وحى من عند الله .
فلما سمع - ورقة بن نوفل - كلام الوحى بشر النبى أنه سيكون
نبى هذه الأمة .

وكانت خديجة مع النبي — عند الراهب — ومات الراهب بعد فترة قصيرة .

يا مستر جولد

بعد أن عرفت حقيقة أمر الراهبين إسمح لى أن أناقش الأمر — معك — مناقشة موضوعية

هل تتصور أن النبى ﷺ تعلم القرآن من اليهود . ثم جاء علم به ، وأعلن كفرهم بنص القرآن ، ولم يقل أحد منهم للنبى : هذه بضاعتنا ردت إلينا ؟

ثم أناقش معك جانباً واحداً من القرآن — لضيق وقتى التى سأسافر غداً إن شاء الله تعالى — إلى بيت الله الحرام . أناقش معك موضوع القصة فى القرآن والتوراة .

ذكرت التوراة قصة نوح ، وإبراهيم ، ولوط ، وموسى ، وهارون ، وداود ، وسليمان .

وكل هؤلاء الأنبياء جاء ذكرهم فى القرآن .

ولكن الدراسة المقارنة ستظهر لك الفارق الكبير :

* * *

نوح :

نسبت إليه التوراة أنه شرب الخمر ونام فانكشفت عورته

سفر التكوين إصحاح ٩ - ١٨

بينما ذكره القرآن بقوله تعالى : ذرية من حملنا مع نوح إنه

كان عبداً شكوراً . الإسراء —

لوط :

وصفته التوراة بأنه شرب الخمر حتى غاب عن وعيه ثم زنى

ببنتيه ! ! سفر التكوين —

بينما وصفه القرآن بقوله تعالى : فآمن له لوط وقال إني

مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم .

موسى:

وصفته التوراة بأنه إله هارون فقالت : هو يكون لك فماً

وأنت تكون له إلهاً . سفر الخروج ٤ —

بينما وصف القرآن هارون بأنه وزير لموسى :

واجعل لي وزيراً من أهلي . هارون أخي ، ٣٠ طه

يا مستر جولد .

هل تتصور أن القرآن بنهجه المنصف للأنبياء، وللحق، قد استمده محمد من اتهامات التوراة للأنبياء، وتشويه سيرتهم؟

إن الظلم وتزوير الحقيقة، لا ينجبان إنصافاً، ولا عدلا.
ونواصل مقارناتنا بين افتراء التوراة وحقائق القرآن.

* * *

هارون :

نواصل دراساتنا للتوراة، فنراها تذكر قصة هارون..
واسمع يا مستر جولد ما تقوله التوراة :
اسمع قصة هارون في الكتاب المقدس — الذي لا يستحي علماء الغرب من جعله مصدراً للقرآن :

تقول التوراة :

ولما طال زمن غيبة موسى، أظهر هارون الضعف والانكسار، وعصى الله، وصنع لهم عجلا ذهبياً لإسكاتهم.
خروج ٣٢ : ٤

وتقول أيضاً :

والظاهر أن هارون راعى الجانبين فبنى للإله الجديد مذبحاً، وأعلن عيداً للإله . خروج ٣٢ — ٥

فالتوراة تدعى أن هارون هو الذى عصى الله وصنع العجل لبنى إسرائيل — مع أنه نبى —

ثم تعتذر عن هذا الخبر — الكاذب — فتدعى أن هارون صنع العجل لإسكاتهم فقط ، لا لأنه كان يعتبره إلهاً من دون الله .

هذا منطق التوراة .. !!

أما القرآن فيذكر قضية العجل الذهبى ، وينسب الجرم الى فاعله الحقيقى ، وهو السامرى .

قال تعالى :

« وما أعجلك عن قومك يا موسى .. ؟

قال هم أولاء على أثرى وعجلت إليك رب لترضى .

قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامرى »

٨٥ طه

وفى آية أخرى ، قال القرآن الكريم :

قال فما خطبك يا سامرى .. ؟

قال بصرت بما لم يبصروا به .

فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لى

نفسى » ٨٦ طه

فصانع العجل – كما يخبر القرآن – هو الشقى للسامرى .

أما هارون – عليه السلام – فوقف فيهم محذراً من عبادة

غير الله .

قال تعالى :

« ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به . وإن

ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى » .. طه

فهل تصلح التوراة أن تكون أصلا للقرآن ومصدراً له ؟!

جولد يهز رأسه وعلى وجهه ملامح الحيرة »

* * *

ونترك هارون يحذر الناس من عبادة العجل .. لنلتقى

بسليمان - عليه السلام -

نلتقى معه مرة أخرى فى التوراة ، ومرة فى القرآن - لنعرف
الفارق بين الكتابين . وهل تصلح التوراة لتكون مصدراً
للقرآن ؟!

يا مستر جولد . نتناول بعض الفاكهة ثم نواصل الحديث

جرلد : الحقيقة أغلى من الفاكهة ..

عارف : الفاكهة تعين على طلب الحقيقة .

يضحك الجميع ويتناولون الفاكهة .

جولد : نعود إلى حديثنا .

عارف : صورت التوراة سليمان - عليه السلام - بأنه
« فى سلطانه مثيراً للغاية ، فأخذ فى السرف والترف والتعيش
الممنوع أكيداً » « سفر التثنية » ١٧ - ١٦

ولقد هدده الله ووبخه فى رؤياه الثانية .

فرغم أن يتعظ ، استكبر وتساهل فى أمر ربه ، ونسى
ربه « الملوك ١ - ١ »

وأكثر من كل هذا قول التوراة عن سليمان :

أخذ يعاشر . . . ويعشق النساء الغريبات اللاتى منع

من عشرتهن .

فنكح منهن سبعمائة بالعقد الدائم ، وثلاثمائة بالعقد المنقطع

فاجتذبن وأملن قلبه عن ربه . ملوك ۱۱ - ۱ !

هذا سليمان عندهم - أعنى فى توراتهم -

* *

أما القرآن فقد تحدث عن علم سليمان . ودقة فهمه فى الحكم

بين الناس منذ فترة شبابه المبكر [1]

ونذكر نموذجاً واحداً لذلك .

تقدم رجلان لداود عليه السلام أحدهما صاحب حقل

زراعى ، والثانى صاحب غنم .

واشتكى صاحب الحقل : أن غنم أخيه دخلت حقله

---

(۱) الحادثة المذكورة حكم فيها سليمان فى عهد والده داود

- عليهما السلام - والتوراة ذكرت أن داود قد مات

وعمر سليمان عشرين عاماً . « سفر الملوك »

فمعنى هذا أن سليمان حكم فى القضية قبل سن العشرين .

فى الليل وأتلفت زرعه .

فحكم داود : أن يأخذ صاحب الحقل الغنم تعويضاً عن زرعه
لكن صاحب الغنم اشتكى لسليمان ضياع غنمه .
فدخل سليمان على أبيه وقال له :

يا نبى الله . . ادفع الغنم لصاحب الحقل ينتفع بها ، واد
الحقل لصاحب الغنم يعيد زراعته .
ثم يرد كل منهما ما فى يده لصاحبه .
قال داود : حكمت فعدلت .

وقد سجل القرآن هذه الحادثة دليلا على نضج سليما
فى شبابه .

قال تعالى :

وداود وسليمان إذ يحكمان فى الحرث إذ نفشت فيه غنم القو
وكنا لحكمهم شاهدين .

ففهمناها سليمان . وكلا آتينا حكما وعلماً ، ٧٨ الأنبيا

وقد امتدح القرآن سليمان فقال :
« ووهبنا لداود سليمان ، نعم العبد ، إنه أواب » ٣٠ ص

حكم يا مستر جولد .

سليمان — فى التوراة — مشغول بألف امرأة أملن قلبه عن ربه » .

وسليمان — فى القرآن — « نعم العبد ... إنه أواب »
فهل يتصور عاقل — يا مستر جولد — أن محمداً تعلم القرآن من الكتاب المقدس ؟!

. . .

إن اليهود يدعون أنهم شعب الله المختار ... والإسلام
حين يسوى بين كل الناس ، ويجعل أكرمهم عند الله أتقاهم .
وعندما أخبر القرآن أن هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس .
لم يجعل عوامل التفضيل سمو شعب على شعب ، ولا دماً على دم .

إنما جعل دائرة التشريف هى جهاد الأمة من أجل الخير وإبعاد الناس عن المنكر . قال تعالى :

« كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » ١١٠ آل عمران

وقد أخبر القرآن أن جماعات من غير العرب سوف تدخل الإسلام ويصبح لها كل ما للعرب من شرف .

قال تعالى :

« وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم »
٣ الجمعة

وشرف هذه الأمة مرتبط بخدمة دينها والدفاع عنه .

فإذا تنصلت الأمة عن حمل أمانة الدين ، نزع الله منها هذا الشرف .

« وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم . . . ثم لا يكونوا أمثالكم » ٣٨ محمد

يا مستر جولد .

هل يمكن أن تكون هذه المساواة العامة قد استقاها محمد من قوم لم يبق لهم من دينهم سوى الغرور والتعالي على الناس ؟ !

هذا من جهة العقيدة ...

أما من جهة الشريعة اليهودية ، والشريعة الإسلامية

فالخلاف جلى وواضح .

اليهود يحرمون الربا .

والإسلام يحرم الربا .

ولكن اليهود يحرمون الربا بين اليهودى ، واليهودى فقط . أما غير اليهودى فيجوز إقراضه بالربا .

جاء فى سفر التثنية :

الأجنبى تقرض بوبا .

ولكن لأخيك لا تقرض بالربا ، لكى يبارك الرب إلهك فى كل الذى تمتد إليه يدك - هذه شريعة التوراة -

أما الإسلام فيحرم الربا على المسلم ، سواء كان المقترض مسلماً أو غير مسلم .

. . .

الديانة اليهودية تحرّم لحم الميت .

والإسلام يحرم لحم الميت .

ولكن التوراة — التى يدّعى المستشرقون أن النبى أخذ

القرآن من تعاليمها – تقول – فى سفر التثنية :

لا تأكل جثة ما . – يعنى أى جثة –

تعطيها للغريب على بابك يأكلها أو يبيعها لأجنبى ، لأنك شعب مقدس للرب إلهك ..

يا مستر جولد .

هل تتصور أن الدين الذى يسوى بين كل الناس فى أحكامه ، ويعطى لغير المسلمين من الحقوق كل ما للمسلمين ، ويجعل عليهم من الواجبات بمقدار ما على المسلمين .

هل تتصور أن هذا الدين يمكن أن يكون امتداداً لدعوة اليهود العنصرية ، أو لتثليث النصارى ؟!

إن التثليث لا ينجب التوحيد الخالص .

وظلم سيرة الأنبياء وتشويه قدرهم – فى التوراة – لا يمكن أن يكون مصدراً الإنصاف التاريخى – الذى – جاء به القرآن .

والديانة المغلقة على قوم بعينهم لا يتصور عاقل أنها أم الدعوات العالمية المفتوحة .

جولد : إنى أشعر بما يشعر به راكب السفينه .

عارف : أشعر بدوار فى رأسك ؟

جولد : لا . . .

بل أشعر بأنى فى طريق لإدراك الحقيقة . بيط ، كما يشعر راكب السفينة بأنه فى طريقه إلى شاطىء السـلام .

لقد بحثت كثيراً عن الحقيقة . . .

وسافرت من أجلها إلى بلاد عدة . . .

لقد أصبحت على يقين من أن محمداً لم يأخذ القرآن من التوراة والإنجيل . لأن من تتلمذ على فن تأثر به — مهما حاول أن يتناساه .

* * *

ولكننى قرأت لبعض المستشرقين أن محمداً كان يطيل التأمل فى الكون . حتى هداه تأمله لهذا الدين .

عارف : وددت لو أنك تجيد اللغة العربية لتقرأ كتاب « النبأ العظيم » للدكتور محمد عبد الله دراز .

كما وددت لو ترجم هذا الكتاب ونشر بكل لغات العالم.

انه يناقش قضية نزول القرآن من عند الله مناقشة عقلية وافية.

— أحد الأسرة : تذكر سفرك غداً بعد الفجر.
— سوف نسافر عقب صلاة العصر - إن شاء الله.
— إذن نواصل الاستماع.
— لو صنعت لنا بعض الشاى أكرمتنا.

* * *

عارف : يامستر جولد.

إذا أضفنا للدراسة السابقة - والتى توضح أن منهج القرآن - فى العقيدة والشريعة والسيرة - يختلف تماماً عن منهج الكتاب المقدس . لو أضفنا حقيقة أخرى وهى أن محمداً قضى أربعين سنة من عمره أمياً لم يشتغل بدرس ولا مدرس ، وذهنه خال من أى فكر إصلاحى ، أو

تغيير اجتماعى . لقد عاش يرعى الغنم ، ويتاجر فى مال السيدة خديجة ، ولم يسمع منه يوماً أن تحدث عن توحيد الله ، أو عن نعيم الجنة ، أو عن أى دعوة للخير .

أربعون عاماً ليس بالعمر القليل . .

وقد سجل القرآن هذه الفترة ، وأكد فراغ ذهن النبى من كل شىء - إلا ما يشغل الرجل العادى من شؤون الحياة (١) .

---

(١) « نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين »

٣ يوسف .

وقال تعالى « : تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا » .

٤٩ هود — ولو كان له ، أو لقومه علم بها لأعلنوا تكذيبه .

وقال تعالى : وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا =

فالقرآن يؤكد خلو ذهن النبى فى مرحلة ما قبل « اقرأ باسم ربك » – من كل شىء – .

هذا القرآن قرأه النبى على قومه – الذين يعرفون عن حياته كل شىء ، ولو لم يوافق وصف القرآن للنبى حقيقة حياته لقال المشركون له :

فدعوى أنك أمىّ لم تدرس ، ولم تتعلم ؟

والحقيقة : إنك درست عند فلان ، وتعلمت من فلان . لأنهم كانوا أحرص الناس على تكذيبه .

= ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان »
« آخر الشورى »

وقال تعالى : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ... إذن لارتاب المبطلون » .

« ٤٨ العنكبوت »

أى لو كنت تقرأ لارتاب المكذبون وقالوا : إنه درس . ولكن عدم قراءتك دليل على تلقى وحى الله .

ولكن سكوتهم عن ذلك دليل على صدق دعواه . . .
يامستر جولد . . .

القصة — فى القرآن — تعتبر إخباراً عن غيب الماضى .
وإخبار النبى عن غيب الماضى بدقة كدقة القرآن — مع أنه أمى — يؤكد أن القرآن ليس نتيجة التأمل الفكرى . لأن التأمل لا يكشف عن المغيبات (١)

جولد : أشعر أن الحوار يحترم عقلى .

---

(١) استعمل القرآن كلمة فرعون لحاكم مصر فى عهد موسى ، « وقال فرعون » واستعمل كلمة الملك لحاكم مصر — نفسها — فى عهد يوسف « قال الملك » وبقى سر التسمية مجهولا حتى اكتشف العلماء حجر رشيد — الذى كان مفتاحا لدراسة اللغة المصرية القديمة . وبعدها علم رجال التاريخ أن المصريين القدماء كانوا يطلقون على الحاكم من أبناء مصر « فرعون » وإذا كان الحاكم محتلا للبلاد يسمونه « ملكا »
=

ويقوى احتمال نزول القرآن من عند الله . ولكن لا زلت بحاجة إلى حديث طويل .

فقد قلت لك : إنني كراكب سفينة يقترب من الحقيقة بهدوء .

عارف : أنت تطلب الحق ، ونحن فى خدمة الحق .

* * *

لقد كشف القرآن عن غيب الحاضر — كما كشف عن غيب الماضى .

ويتجلى هذا الأمر فى فضح القرآن لنفاق المنافقين . وكشف طويتهم — مع إجادتهم لتمثيل دورهم » .

والأعجب من غيب الماضى ، وغيب الحاضر هو إخبار

= ويوسف عليه السلام عاش فى أيام الهكسوس الذين غزو مصر من أواسط آسيا ، وطردهم « أحمس » . فهل أدركت سر القرآن فى التسمية ؟ ! !

وهل مثل هذا السر يدرك بالتأمل ؟

القرآن عن غيب المستقبل فجاء الزمان فصدق ما أخبر به القرآن .

والشواهد كثيرة لمن قرأ القرآن .

كان النبي فى مكة بعيداً عن أحداث معركة الفرس والروم .

وتطايرت الأخبار بهزيمة الروم — أمام جيش الفرس .

وحزن المسلمون للنتيجة – الروم أصحاب دين ، أما الفرس فمجوس يعبدون النار .

وفرح المشركون بالنتيجة ، لأن الفرس أقرب لهم من النصارى .

ولكن القرآن نزل يخبر المسلمين أن النصر للروم — فى الجولة الثانية — من المعركة .

والأعجب من هذا أن القرآن حدد المدة — التى سينتصر فيها الروم .

حددها ببضع سنين .

والبضع من ثلاثة إلى تسعه . ثم أكد القرآن أن نصر الروم سيوافق نصراً آخر عند المسلمين .

نزلت الآيات فى مكة ...

ومرت السنوات تباعاً .

وهاجر النبى إلى المدينة .

ودارت معركة بدر الكبرى . وانتصر المسلمون فيها .

وفى أثناء احتفال المسلمين بنصرهم ، وصلتهم أخبار تؤكد انتصار الروم على الفرس .

والتقى النصران . وصدق الله وعده ، وصدق نبيه قال الله سبحانه فى القرآن المكى :

« غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين ...

لله الأمر من قبل ومن بعد ...

« ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله » ٥ الروم

« يومئذ ... أى يوم انتصار الروم ، سيفرح المؤمنون

بنصر الله . وقد وافق نصر الروم على الفرس انتصار المسلمين
فى بدر .

هل هذه المغيبات يمكن أن يدركها العقل بالتأمل وطول
النظر فى الكون .

جولد : لا .

الأمر أعمق من كلّ هذا وأجلّ .

ولكن . ربما كان محمد يعلم الغيب ؟

عارف : إذا تصورته يعلم الغيب فقد تصورته نبياً .
يا مستر جولد .

لم ينسب محمد إلى نفسه أنه يعلم الغيب .

وقد أعلن القرآن هذا .

« قل ما كنت بدعاً من الرسل وما أدرى ما يفعل بى ولا
بكم . إن أتبع إلا ما يوحى إلىَّ وما أنا إلا نذير مبين »
٩ الأحقاف

وقال تعالى :

« قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا

وعندما غنت جارية — فى عرس — وقالت :

وفينا نبى يعلم ما فى غد

قال لها النبى : لا تقولى هكذا . وقولى ما كنت تقولين .

محمد — فى ذاته — وفق قانون بشريته — لا يعلم الغيب ،

والقرآن أخبر بكثير من المغيبات ، وصدقتها الليالى والأيام .

والغيب عنيد . من دخله بدون وحى فضحه . وكذّبه .

فمن أين جاء محمد بهذا القرآن ؟؟

جولد : هذا المجلس حوّل فكرى .

ما كنت أعتقد أن منهج الإسلام بهذا الوضوح .

عارف : الإسلام قضية عادلة .

غير أنه وقع فى أيدى محامين فاشلين .

جولد : لا يوجد فى الغرب من يوضح هذه الحقائق الشباب

مما جعل لصوص العقائد يقدمون الباطل ويخفون الحق . وهم

آمنون من فضيحة باطلهم .

عارف : هذا قدرنا - يا مستر جولد -

المعركة ضارية ، والسلاح قليل .

على أى حال نعود إلى موضوعنا .

لقد علمت يا مستر جولد أن دعوة تعلم محمد من الرهبان تعتبر تزويراً للتاريخ .

ودعوة أن القرآن نسخة محرّفة للكتاب المقدس لا يقبلها عاقل . (1)

لأن القرآن مصحح لما أحدثه الزمن فى هذا الكتاب .

ودعوة الاستبطان الذاتى ، يردّها وجود المغيبات الصادقة فى القرآن . فالمغيبات لا تدرك بالاستبطان الذاتى ولا

---

(1) قال لى أحد المجادلين عندما أحرجته هذه الحقائق الثابتة : ربما تعلّم محمد من التوراة والإنجيل الأصليين .

فضحكت وقلت له :

كلامك هذا معناه إن كتابك - الذى تؤمن به ليس أصلياً ، بل محرفاً .

فاعتذر بأنها عبارة غير مقصودة .

بالتأمل .

فمن أى مصدر جاء النبى بهذا القرآن ؟؟

يا مستر جوالد :

ما رأيك فى العلم الحديث .

جولد : خدم الإنسانية ، ويحاول أن يسخر كل شىء لخدمة الإنسان . والعلم استخدم منهج التجربة والمشاهدة لإدراك الحقائق الكونية .

عارف : هل يمكن للتأمل الفكرى أن يكتشف حقائق علم الفلك والتشريح والفضاء ؟

جوالد : لا .

عارف : سوف أقرأ عليك بعض آيات القرآن ، لنعرف هل يمكن للنبى أن يتوصل إليها عن طريق التأمل أو دراسة الكتاب المقدس ؟

تكلم القرآن عن شكل الأرض فقال : والأرض بعد ذلك دحاها ، ٣٠ النازعات

والدحية هى البيضة .

فهل هناك علاقة بين البيضة وشكل الأرض (١) ؟
جولد : أدق تشبيه للأرض هو هذا التشبيه .

الأرض فعلا بيضاوية الشكل .

والآية تحتمل فهماً آخر - من ناحية اللغة -

العرب يقولون : دحى المطر الحصى - إذا باعد مكانه .
فيحتمل أن يكون معنى الآية - أن الله دحى الأرض أى فرق القارات بعد أن كانت متماسكة .. وخريطة القارات تؤكد أنه لو وضعت كل قارة بجوار الأخرى لـكمل بعضها بعضاً .

جولد : هذه أحدث النظريات فى موضوع القارات .

عارف : هل يمكن أن يكون قول القرآن هذا من وحى التأمل ؟

---

(١) سبق أن تكلمت عن هذه الآية فى رسالة - هذه عقيدتك يا ولدى - بشىء من الإسهاب . وبينت العلاقة بين بيضاوية الأرض وتوزيع الماء والمرعى عليها .

جولد : احتمال بعيد .

عارف : وأبعد منه أن تسمع هذه الآية - التى أخبرت أن السموات والأرض كانتا ملتصقتين ثم فتقها الله . ثم لا توقن بأن هذا القرآن منزل من عند الله .

لقد أثبت صعود الإنسان إلى القمر ، وإحضار قطع منه وتحليلها .

كما أثبتت دراسة الإنسان للشهب والنيازك - التى تصلنا من الكواكب - أن المادة التى خلقت منها هذه الكواكب كلها مادة واحدة .

وهذا يؤكد ما أشار القرآن الكريم إليه فى قوله تعالى :

(أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما) ٣٠ الأنبياء

جولد : هذه حقائق علمية لم يعرفها العلماء إلا فى القرن الماضى .

عارف : فمن علمها للنبى - ﷺ - ؟ !

لقد تكلم القرآن عن أسرار الفضاء - التى لم يعرفها الإنسان

إلا فى القرن العشرين عندما تقدمت صناعة الطيران والصواريخ - فأنت تعرف - يا مستر جولد - أن الإنسان كلما صعد إلى أعلى - بالطائرة أو بالصاروخ - كلما شعر بتغيُّر فى الضغط، وضيق فى التنفس .

وقد اخترعت وسائل علمية لحفظ الطيارين ورجال الفضاء .

ما رأيك يامستر جولد . . فى أن القرآن شبه ضيق الصدر الذى يصيب الحائر، بضيق الصدر — الذى يصيب من يصعد فى السماء .

الضال يضيق صدره بكفره .

والذى يصعد فى السماء يضيق صدره باختلاف طبقات الجو ونقص الأوكسجين . قال تعالى : « ومن يرد أن يضلّه يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصّعّد فى السماء »

١٢٥ الأنعام

وكلمة « يصّعّد » تفيد الصعود من درجة إلى درجة أعلى منها بمشقة وضيق صدر .

قال القرآن هذا ـ وأعلى مكان يمكن للرجل يومها أن يصعد اليه هو جبال مكة ، وكشف العلم سرّ الآية عندما ركب الإنسان الصاروخ .

فهل كان محمد خريج كلية الطيران ؟

جولد : إننا نعرف وعظ الرهبان وكلامهم .

إن محمداً يتحدث من وراء الغيب .

القرآن شيء آخر .

شيء آخر فعلا .

وهذا الحوار يحترم عقلي .

ويبدو أن الرياح تدفع السفينة أسرع وأسرع إلى الحقيقة

ويضع جولد بيارد رأسه بين يديه ويغمض عينيه ويقول : حتى الفضاء يتحدث عنه القرآن .. !!

وراء القرآن سرّ عظيم .

إن العالم يفتخر الآن بدراسة الفضاء .

* * *

عارف : يا مستر جولد

تحدث القرآن عن الكون حديث الخالق عن خلقه ، وتحدث عن جسم الإنسان ـ حديث العالم بأسراره . وأذكر لك مثالا :

العلماء اكتشفوا أن حساسية الإنسان تتركز تحت جلده . والقرآن أشار إلى هذا السر قبل العلم بألف عام : لقد جعل القرآن منطقة الجلد هى منطقة إحساس أهل النار بالعذاب .

قال تعالى : إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب . أن الله كان عزيزاً حكيماً » ٥٦ النساء .

فكلما احترق الجلد بدلهم الله جلداً آخر ، لأن الجلد هو مركز الإحساس . وذلك ليذوقوا العذاب .

ويوما يشهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون من سوء فى الدنيا .

ولكنهم يعاتبون جلودهم فقط :

قال تعالى : وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا « ؟ »

قالوا أنطقنا الله — الذى أنطق كل شىء — وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون ٢١ فصلت

حتى عندما يخبر القرآن بعموم العذاب لباطن الجسد وظاهره، يؤكد القرآن على الجلد.

قال تعالى : « فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم . يصهر به ما فى بطونهم والجلود » ٢٠ الحج

فهل يتصور عاقل أن مثل هذا الكشف العظيم لسر من أسرار الجسد علمه محمد عن طريق الاستبطان النفسى، أو معاشرة البيئة، أو من الكتاب المقدس ؟!!

• • •

وهل القرآن إذا أخبرنا بمراحل تكوين الجنين فى بطن الأم. وسبق خلق العظام للحم، وتكوين جدار الرحم من طبقات ثلاث، ثم يأتى علم التشريح ويدرك الطبقات الثلاث « المبارية والامنيونية والخربونية ».

وهى أنسجة لا ينفذ منها الضوء ولا الصوت .

قال تعالى :

« يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق فى ظلمات ثلاث » ٦ الزمر

هل يمكن أن يكون محمد قد درس التشريح ، وتخصص فيه ؟ ،

والفضاء أتقن علومه ؟ .

والكون أحاط بأصله وسره ؟ .

يامستر جولد :

إن القرآن إن تحدث عن الماضى صدقه التاريخ . وإن تحدث عن المستقبل صدقته الليالى والأيام . وإن تحدث عن الكون صدقه العالم الحديث .

فهل هذه العلوم من نوع معارف الرهبان ؟

أم عرفها محمد من الكتاب المقدس ، وأخذها من أصحاب معارف هزيلة بالكتاب المقدس كما يقول : « كارل بروكلمان ؟ »

أم نبعت من نفس محمد نتيجة التأمل ؟

لقد عرضت عليك القضية بتفاصيلها ، وتركت لك الحكم .

جولد : التفسير الوحيد الذى يفرضه العقل أن هذا القرآن من عند الله ...

أجل ... من عند الله ...

بكل هدوء أقول : هنا الحقيقة ...

محمد رسول الله ...

محمد رسول الله ...

انى آمنت بربكم ... فاسمعون ...

رده الجالسون الشهادتين . ورددها جولد بيارت والدموع من الفرح تسيل ، وسيطرت على الجميع أشراقة نورانية وهنأ بعضهم بعضا .

وحان وقت صلاة الفجر ، ووقف مسلم جديد بين صفوف أهل الحى انه « جولد بيارت المهندس البلجيكى » « ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين » .

الباب الثانى

الفصل الأول

- الحقائق التاريخية أولا .
- هل حاكمتم الفلاسفة ؟
- عبيد قادوا الأحرار .
- الذين استرقوا الأحرار ، هم الذين اتهموا الإسلام باسترقاق العبيد !!

زار الشيخ أحد الأصدقاء ، بعد غيبة عز فيها اللقاء ، فقوبل بالترحاب والغناء ، والبشر والهناء .

وبعد جمال الترحاب ، ومسامرات الأحباب .

سأل بعض الحاضرين عن قضايا الدين .

فهلل الشيخ للسؤال وأفاض المقال :

عمار : يشغلني موضوع هام يثيره الشباب دائماً وأحب أن أعرف رأى الاسلام فيه .

لماذا شرع الاسلام الرق ، وهو دين المساواة والحرية ؟

عارف : يخطىء كثير من الشباب فهم الدور الذى قام به الاسلام فى قضية العبيد .

مشكلة العبيد مشكلة صعبة .

بدأت مع فجر الحضارات القديمة ، وأقرتها كل النظم القديمة والدعوات السماوية - التى سبقت الاســلام . حتى الفلسفات المثالية أقرت هذا النظام على علاته ولم تفكر فى منح العبيد أى حقوق على سادتهم ، - ولا حتى فى مجال الخيال المثالى - الذى لا يكلفهم شيئاً .

فأرسطو قال : لا يزال فى العالم أناس خلقوا للسيادة ،

وآخرون خلقوا للطاعة ، فهم كالآلات الحية التى تساق للعمل ، ولا تدرى فيما تساق إليه .

هذا رأى أرسطو .

* * *

وفى « جمهورية أفلاطون »

تقسم الناس إلى أقسام ثلاثة :

القسم الأول : الحكام

ويدعى أن الآلهة وضعت فى طينتهم ذهباً ليمكنهم من السيطرة والحكم .

القسم الثانى : المساعدون للحكام .

ويدعى أن فى طينتهم فضة .

القسم الثالث : طبقة العبيد

ويدعى أن فى طينتهم حديداً ليكونوا زراعاً وعمالا .

الرومان :

وفى الرومان صاحبة القوانين الرومانيـة — التى لم تزل تدرس حتى الآن —

حرموا العبيـد من الميراث ، والأسرة ، وحق التقاضى أمام القضاء .

واعتبروا العبد شيئاً . لا شخصاً .

فلما دخلت الديانة المسيحية الرومان تأثر القانون الرومانى بسماحة الديانة الجديدة فحرم — لأول مرة فى التاريخ — على السيد أن يقتل عبده .

. . .

اليهودية :

أما الديانة اليهودية . . فقد أباحت لليهود إذا حاربوا بلداً وانتصروا عليها . . أن يأسروا كل نسائها وأطفالها . أما الرجال فيجوز قتلهم ، ويجوز أسرهم ليصبحوا عبيداً إلى الأبد .

« اقرأ سفر التثنية — الاصحاح العشرين »

النصرانية :

وجاءت النصرانية . وا كتفت بأن تطالب من العبيد أن يطيعوا سادتهم . وقد جاء في رسالة بولس ما يؤكد هذا . ظلت المشكلة كما هي منذ فجر الحضارة حتى جاء الاسلام . وعندئذ بدأت المشكلة تتهيأ للحل .

. . .

الاسلام :

إن أول عبد نال حريته - في الاسلام - هو بلال بن رباح الحبشي - الذي اشتراه أبو بكر وأعتقه ليخلصه من التعذيب .

فبلال أول عبد حرره الاسلام .

وأبو بكر ... أول من حرر العبيد .

. . .

عماد : هذا عرض تاريخي جيد ، ولكنه موجز . نريد أن نعرف المزيد .

عارف : الكتاب هو الصديق الذي لا يمن ، ولا يمل

فاقرأ : كتب الفقه الإسلامى فإن فيها أبواباً لحقوق العبيد .

واقرأ « حقائق الاســـلام » لعباس محمود العقاد ، واقرأ « لا رق فى الاسلام » للأستاذ ابراهيم الفلالى « وشبهات حول الإسلام » الأستاذ محمد قطب « والاسـلام والعبيد » للأستاذ ابراهيم النعمة .

عماد : ولـكن وجودك فرصة .

عارف : الاسلام لايعرف الشعارات ولـكن يضع الحلول. أنا أعرف جيداً أن الشرق والغرب وتلاميذهما فى بلادنا يرددون على مسامع شبابنا هذه القضية دائماً معتقدين أنهم سيغمزون الاسلام وينالون منه .

وقبل أن أجيبك عن موقف الاسلام من هذه القضية أسألك .

ما رأيك فى سفينة تحطمت فى وسط البحر ، وكاد يغرق كل من فيها ، وأعرضت كل السفن المجاورة لها عن إنقاذها ، ولـكن قبطاناً ماهراً حاول بكل قوته الفـكرية والجسمانية

أن ينقذ من يستطيع من الغرق .

هل ترى من العدل أن تحمله مسئولية الذين ماتوا ، ولم يستطع إنقاذهم ؟

عماد : لا ... ربما لو عاونته السفن الأخرى لنجا الجميع .
على أى حال يجب أن يُقدّر ويُشكر .

عارف : لقد جاء الاسلام فوجد مشكلة العبيد عالمية الحجم قديمة التاريخ ، معقدة الجوانب .
فوضع منهجاً متكاملا لحلها .

لقد شرع الاسلام العتق .. ولم يشرع الرق .
« العقاد »

فوضع منهجاً متكاملا للعتق وتحرير العبيد .
وينقسم منهج الاسلام إلى ثلاثة أقسام :

* أولا : تأمين الأحرار على حريتهم .
* ثانياً : تصفية المشكلة ومنح الحرية للعبيد .

ثالثاً : تأمين حياة الذين لم يحصلوا على الحرية و[ا]كرامهم

. . .

فأول شيء فعله الاسلام هو تأمين حرية الأحرار . و[لم]
يكن هذا أمر سهل .

لقد كان الصبي الحر يُسرق من أهله ويباع فيصبح عبداً .
وربما عجز المدين عن سداد دينه فيصبح عبداً المرابي –
صاحب الدين .

وغارات السلب والنهب – التي كانت تقوم بها القبائل لسرقة
المال وسبي العيال من المستضعفين لا حرج فيها .
جاء الاسلام فحرم كل هذا . ليؤمّن الأحرار على حرياتهم .

قال صلى الله عليه وسلم :

ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ، ومن كنت خصمه خصمته
« أى انتصرت عليه أمام الله »

رجل أعطى بى ثم غدر .(١)
ورجل باع حراً وأكل ثمنه .
ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه العمل ولم يعطه أجره .(٢)
وعندما أمّن الاسلام الأحرار على حريتهم فقد حاصر
شكلة ، ومنع امتداد الحريق .

• • •

تبقى أمام الاسلام مشكلة العبيد — الذين ولدوا هكذا أو
اروا عبيداً بعد ولادتهم .
أولا : فتح الإسلام أمامهم باب الحرية العادلة .
عماد : ماذا تعنى بكلمة الحرية العادلة ؟
عارف : أعنى أن الاسلام راعى جانبين .

---

(١) أعطى بى — أى عاهد ثم غدر .
(٢) الحديث رواه البخارى .

الجانب الأول : هو رغبة العبد فى الحصول على الحرية .
والجانب الثانى : هو أنه حافظ للسيد على أمواله التى بذلها فى شراء العبد أو تربيته .

الإسلام دين عادل ... لذلك شرع عقد بيع الحرية للعبيد - أى عقد المكاتبة - وهو يعنى أن العبد إذا رغب فى الحصول على الحرية يتفق مع سيده على مبلغ من المال يدفعه العبد فيصبح حراً .

قال تعالى : والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً . وآتوهم من مال الله الذى آتاكم .
٣٣ النور

عماد : من أين يدفع العبد هذا المال ، مع أن كسبه - دائماً - لسيده ؟

عارف : قد راعى الاسلام هذا الأمر جيداً .
فبمجرد توقيع العقد يصبح كسبه لنفسه لا لسيده .
بل طلب الاسلام من الجماعة المسلمة أن تعينه على ثمن الحرية .
وهذا معنى قوله تعالى :

« وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » ٣٣ النور

عماد : ربما يمتنع سيده عن المكاتبة .

عارف : الأمر القرآنى يرغّب المسلم فى القبول . والمسلم بطبعه ليس أنانيا .

ومع ذلك لو امتنع السيد عن التوقيع على عقد المكاتبة ، يمكن للعبد أن يرفع الأمر إلى القاضى ، فيرغمه القاضى على القبول .

عماد : وإذا تم توقيع العقد ، وتعسر العبد فى السداد ولم يجد من يعينه ؟

عارف : أفتى الإمام على — كرم الله وجهه — بأن العبد إن عجز عن تدبير المبلغ ، يدفع القيمة التى دبرها لسيده . وبمجرد أن يدفع القسط الأول يصبح حراً ويلزمه بقية المبلغ (كدين مدنى) عليه تسديده عند الميسرة ، ولا يرجع للعبودية بسبب عجزه عن السداد .

عماد : نعم الفتوى ، ورضى الله عن أمير المؤمنين على — كرم الله وجهه —

يا فضيلة الشيخ :

أنت قلت الآن : إن الاسلام فتح باب الحرية للعبد الراغب فيها .

هل يمكن أن نتصور عبداً لا يرغب فى الحرية ؟

عارف : الحرية تعنى المسئولية .

وبعض العبيد تربّوا على العمل الجسمانى فقط .

ولم يُعدّوا لتحمل المسئولية ،

وبعضهم تبلد عنده الشعور بالعبودية ، فأصبح لا يألم بها .

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام

وأمثال هؤلاء لم يفكروا فى دفع ثمن الحرية ، لرضاهم العيش فى ظل سادتهم .

ومع ذلك لم يحرمهم الاسلام من الأمل فى إهداء الحرية لهم بلا ثمن .

عماد : يحصلون على الحرية بدون أن يطلبوها ؟!

عارف : نعم .

شرع الاسلام باب العتق للقربة إلى الله – سبحانه – وقد أخبر النبي – ﷺ – أن من أعتق عبداً حسبة لوجه الله، أعتق الله رقبته من النار. «أيما رجل أعتق امرءاً مسلماً استنقذ الله بكل عضو منه عضواً منه – أى من سيده – من النار.

«رواه البخارى»

ولقد كان أبو بكر الصديق هو أول من أعتق عبداً فى الاسلام. عندما اشترى بلالا وأعتقه.

وكان عمر بن الخطاب يذكر دائماً هذا السبق لأبى بكر فيقول:

رحم الله أبا بكر.
كان سيدنا.
وأعتق سيدنا.

«أسد الغابة ج ١ ص ٢٠٩»

وقد دعا القرآن لفك رقاب العبيد، كما دعا لحسن معاملتهم.

فشرع الإعتاق على وجه القربة لله. قال تعالى:

« فلا اقتحم العقبة ، وما أدراك ما العقبة . فك رقبة »

سورة البلد

كما شرع الله العتق فى كفارات ثلاث ، بالنص القرآنى .

القتل الخطأ ، الظهار ، وكفارة اليمين .

أولا : من قتل مسلماً خطأ . فليعوض المجتمع المسلم بتحرير رقبة من العبودية . قال تعالى :

« وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ . .

« ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة . . .

ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا » ٩٢ النساء

ثانياً : إذا حرم الرجل امرأته عليه وقال لها : أنت محرمة على كظهر أمى . ثم عزم على الرجوع فيما قال . .

فلا تحل له زوجته حتى يكفر عن ظهاره .

قال تعالى :

« والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا . ذلكم توعظون به والله بما

تعملون خبير » . (١)   ٣ المجادلة

ثالثاً : شرع الاسلام كفارة اليمين — الذى أقسمه المسلم على شىء فى المستقبل يعزم أن يفعله ثم لم يستطع . أو يعزم على عدم فعله ثم فعله .

فعليه كفارة هذا اليمين .

قال تعالى :

لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم . (٢)

---

(١) روى أن خولة بنت ثعلبة ظاهرها زوجها فلما اشتكت للنبى قال لها النبي : لا أراك إلا قد حرمت عليه . فلما اشتكت أمرها لله أنزل الله حلا لمشكلتها وشرع الكفارة .

ومضمون هذا الحادث يؤكد أن القرآن من عند الله ، لأن القرآن أفتى بغير ما أصر عليه النبي من تحريم خولة على زوجها أوس بن الصامت .

(٢) كان يقول لهم والله ، أو لا والله ، وهو لا يقصد اليمين . وكان يقسم على شىء فى الماضى يعتقد أنه صادق فيما يقول ثم يتبين خطأه .

ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان . (١)

فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام »

٨٩ المائدة

فكلما جاءت فرصة للخير وجهها الاسلام إلى تحرير العبيد .

وإذا كانت هذه الحلول يتبناها المجتمع المسلم ، فإن ذلك لا يصرف همة الدولة عن المساهمة فى هذا الأمر الخطير . فقد جعل القرآن سهماً من الزكاة لفك الرقاب .

قال تعالى :

« إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب ») ٦٠ التوبة

فالدولة والأفراد وحتى العبيد أنفسهم يتعاونون على منح

---

(١) بأن يقسم على شيء فى المستقبل أن يفعله أو لا يفعله ثم لا يلتزم بيمينه .

حرية العبيد - كتعاونهم على ضروريات الحياة .

عماد : وإذا لم يقدر العبد على شراء حريته ، ولم يسعده الحظ فيحظى بمن يهبها له .

هل يعيش عبداً معذباً ؟

عارف : يبدو أنك لم تدرس صورة المجتمع في ظل الإسلام .

الناس في ظل الاسلام سواسية كأسنان المشط . لا فضل لاحد على أحد إلا بالتقوى .

التقوى التي جعلت من بلال مؤذناً للرسول وخازناً له ..
التقوى التي جعلت سلمان الفارسي من آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم .

وجعلت أسامة بن زيد أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

واسمع هذه الحادثة :

فرض عمر بن الخطاب لأسامة بن زيد - رضي الله عنهما - خمسة آلاف درهم - كل عام . بينما فرض لعبد الله بن عمر ابن الخطاب ألفي درهم فقط .

فقال عبد الله لأبيه :

فضلت أسامة على . وقد شهدت من المعارك ما لم يشهد .

قال عمر - رضى الله عنه - :

إن أسامة كان أحب إلى رسول الله منك ، وأبوه كان أحب إلى النبى من أبيك .

« أسد الغابة ج ١ ص ٦٥ »

فالتقوى . . والتقوى فقط . . هى دائرة التفاضل فى المجتمع الاسلامى .

وقد عمل الاسلام جاداً على إزالة التجاعيد التى تركها الزمن فى وجه العبيد . وأعاد لهم الكرامة السليبة .

أولا : فتيان لا عبيد

استبدل القرآن كلمة (عبد) وكلمة (أمة) بكلمتى (فتى وفتاة)

وذلك ليربى الأمة على خُلق جديد .

قال تعالى :

إذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين »
٦٠ الكهف

وفى قصة يوسف :

« وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم لعلهم يعرفونها »

٦٢ يوسف

وأنت تعرف يا عماد أن كلمة فتى تطلق على الحر وعلى العبد سواء بسواء .

قال تعالى عن ابراهيم – وهو حر ، وابن حر .

« قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم »

٦٠ الأنبياء

كما استبدل كلمة « أمة » الأنثى بكلمة فتاة .

قال تعالى :

« ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات »

٢٥ النساء

لذلك نرى النبى – صلى الله عليه وسلم – يؤدب الناس بأدب القرآن فيقول :

لا يقل أحدكم يا عبدى ويا أمتى ...

بل يقل : يا فتاى ويا فتاتى .

عماد : لكن جاء فى القرآن الكريم « والصالحين من عبادكم وإمائكم » ٣٢ النور

عارف : هذا صحيح .. أكرمك الله .

هذه هى الآية الوحيدة — فى كل القرآن — التى استعملت كلمة عبادكم .

لكنها جمعت (عبد) على (عباد) .

وأنت تعرف أن الجمع على (عباد) يخالف الجمع على (عبيد)

يقال فى مقام المدح « عباد » .

قال تعالى « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً » ٦٣ الفرقان

وفى مقام الغضب يجمع القرآن كلمة (عبد) على (عبيد) .

قال تعالى : « وما ربك بظلام للعبيد » ٤٩ فصلت

فالله — سبحانه — قال : « والصالحين من عبادكم » ولم يقل والصالحين من عبيدكم .

هذا من ناحية لفظ الآية الكريمة .

أما موضوع الآية .. فهو إلزام المجتمع المسلم أن يحاول تزويج العبيد والإماء — حتى يسد حاجتهم النفسية ويحفظهم من الانحراف .

هؤلاء هم العبيد فى ظل الاسلام
أوجب الاسلام على السادة :

إطعامهم مما يأكلون . وكسوتهم مما يلبسون . ثم تزويجهم .

يا عماد :

العبيد — فى ظل الاسلام — جزء من الأسرة الإنسانية الكبيرة .
يتزوج الأحرار من العبيد .

قال تعالى : « ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات — والله أعلم بإيمانكم — بعضكم من بعض . فانكحوهن بإذن أهلهن وآتوهن أجورهن بالمعروف »
٢٥ النساء

ويستفاد من الآية الكريمة .

١ ـ رفع الحرج ـ الذى كان يصيب العربى ـ إذا تزوج من أمة .

٢ ـ أن الأحرار والإماء أسرة واحدة ـ بعضهم من بعض ـ لأنهم جميعاً من آدم . وآدم من تراب .

وبعضكم من بعض فى الايمان أيضاً .

وما وراء الايمان أمور لا ينبغى الالتفات إليها .

« إن أكرمكم عند الله أتقاكم »

(راجع تفسير آيات الأحكام ج ٢ ص ٧٩)

وقد أكد النبى هذا الإخاء فى قلوب الناس .

« إخوانكم خولكم . . . فمن كان أخوه تحت يده . . . فليطعمه مما يأكل . . وليلبسه مما يلبس . . ولا تكلفوهم ما لا يطيقون . . وإن كلفتموهم فأعينوهم » ((صحيح مسلم))

ويفهم أيضاً من الآية السابقة أن الفتاة جزء من الأسرة ـ التى تعيش فيها ـ مع سادتها ـ وسادتها هم أهلها .

« فانكحوهن بإذن أهلهن » أى بإذن سادتهن . ولكن

ظلال التعبير القرآني له أثر عظيم — فلم يقل : فانكحوهن بإذن سادتهن . بل قال بإذن أهلهن ، ليثبت الولاية .

صاحب البيت : يا عماد يا ولدى لقد شغلت الشيخ وأتعبته وأود أن نسأل الشيخ عن حاله وعياله ؟

عارف : والله كلهم بخير والحمد لله .

هشام فى التعليم الثانوى وشيماء فى السادس الابتدائى ، وأمهم تعيش فى خير حال — والحمد لله —

أبو عماد : إن شاء الله سنزوج عماداً لشيماء . وهشاماً لوفاء ابنتى .

ما رأيك يا شيخ عارف ؟

عارف : هذا حديث سابق لوقته .

لا بد من نمو الأولاد أولا . . ثم يصبح لهم الاختيار .

أبو عماد : ورأينا يا شيخ عارف ؟

عارف : رأى الوالدين استشارى فقط .

والكلمة الأولى والأخيرة للشاب والفتاة .

عماد : دعونا من موضوع الزواج لنرجع إلى موضوع العبيد
عارف : لقد أصبحت أنسى كثيراً يا عماد .
ما هى النقاط التى ذكرتها لك ؟

عماد : أنت تمتحنى يا شيخ عارف ..
لقد تحدثنا عن تاريخ المشكلة .

وتحدثنا عن موقف الاسلام من تأمين حرية الاحرار .
وفتح باب العتق العادل - الذى يكفل للسيد حقه ، وللعبد حريته.

وتحدثنا عن هبة الحرية . قربة إلى الله ، أو كفارة لقتل خطأ ، أو ظهار أو يمين .

وعرفنا حسن معاملة الاســلام للعبيد فى حياتهم المادية والأدبية .

عارف : أحسنت يا عماد .
ومن ناحية حرمة الدم .
فقد ساوى الإسلام بين دم العبد ودم الحر .

قال – صلى الله عليه وسلم – : من قتل عبده قتلناه . ومن جدع عبده جدعناه . ومن أخصى عبده أخصيناه »

رواه البخاري ومسلم

فالدماء متكافئة بين الأحرار والعبيد .

عماد : لكن القرآن يقول : العبد بالعبد .

عارف : إقرأ الآية من أولها فإنّها عامة في تسوية الدماء بين المسلمين – أحراراً وعبيداً ، رجالا ونساء –

قال تعالى : يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى .. الحرّ بالحر .. والعبد بالعبد .. والأنثى بالأنثى »

١٧٨ البقرة

فصدر الآية يفيد عموم القصاص في كل دم أريق ظلماً .

« كتب عليكم القصاص في القتلى »

سواء كان المقتول حرّاً أو عبداً . رجلا أو امرأة .

أما قوله تعالى « الحرّ بالحر ، والعبد بالعبد .

فجاء علاجاً لمشكلة جاهلية .

بعض عشائر العرب كانت تأخذها العزة بالإثم .

فإذا اعتدى عبد من عشيرة أخرى على عبد منهم يقسم أحدهم أن يقتل حراً — بريئاً — بدم العبد المقتول منهم، وإن قتلت امرأة منهم يقتلون بدمها رجلا - ولو كانت القاتلة امرأة.

وفى ذلك من الظلم ما فيه، لأن القاتل ينجو ويقتل مكانه برىء.

فنهاهم الله عن ذلك، وطلب منهم العدل فى القصاص.

فلو قتل عبد عبداً فالقصاص من القاتل نفسه.

لا يجوز أن نتعداه إلى برىء. ولو قتلت امرأة امرأة فالقصاص من القاتلة.

• • •

عماد : بارك الله فيك يا شيخ عارف. ولكن ما معنى الآية الكريمة؟

« والذين هم لفروجهم حافظون. إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين » ٦ المؤمنون

عارف : يا عماد . لقد أباح الاسلام للسيد أن يعاشر فتاته — غير المتزوجة — معاشرة الأزواج .
وذلك لإشباع حاجتها كأنثى من ناحية —
وليغدق عليها العطاء والزينة من ناحية أخرى .
لأنها ستعيش فى فراشه .
والأهم من هذا أنه إن رزق منها بمولود — واعترف بنسبه منها — فإنها تصبح أم ولد — وينقلها ولدها إلى الحرية بمجرد موت أبيه .
هذا إذا لم تكن متزوجة .

أما إذا كانت متزوجة ، أو زوّجها سيدها — من رجل آخر — فلا يجوز لسيدها أن يعاشرها ، لأن الاسلام لا يعرف شيوع الجنس .

أبو عماد : يا شيخ عارف شغلك عماد عنا .
والعشاء جاهز .
وقد أعددت لك سمكة نهرية طيبة .
قم يا شيخ . . .

« يقوم الشيخ ويجتمع الأحباب على الطعام »

وبعد الطعام يعود الحوار :

عماد : كل شيء تكرمت به فى الحديث عن العبيد أراح صدرى . . .

ولكن لماذا لم يحرم الإسلام الرق تحريماً نهائياً كما حرم الخمر ؟

عارف : الحلول النظرية سهلة .

ولكن الإسلام يعالج الأمور بحكمة وعدل .

فهو يبحث عن الحرية العادلة . ورحم الله أحمد شوقى وهو يصف منهج النبى فى معالجة الأمور فيقول :

داويت متئداً وداووا طفرة

وأخفّ من بعض الدواء الداء

عماد : لكن الغرب استطاع إلغاء الرق بقانون واحد .

عارف : لماذا ألغى الغرب الرق ؟

عماد : احتراماً لحقوق الإنسان .

« يضحك الشيخ، ويتعجب عماد من ضحكه »

عماد : هل تضحك من اجابتى يافضيلة الشيخ ؟
عارف : لا ياعماد .

ولكننى أحب أن تعرف أن الحقيقة شىء ، و ماترددهأجهزة الأعلام فى الغرب وتسمعه من تلاميذ الغرب فى بلادنا ، شىء آخر

ان الذئب إذا لبس ثوب الحمل الوادع ، وأمسك بسبحة العابد ، تفضحه أفعاله حتما .

عماد : « مستغربا » ماذا تعنى يافضيلة الشيخ ؟
عارف : ياولدى .. الغرب لا يعرف القيم .

مخطىء من ظن يوما أن الثعلب دين .

ان تجارة العبيد فى الغرب كانت من أربح التجـارات ، وكان الغرب يغير بقوافل كبيرة مسلحة على أفريقيـــا ويسرق أطفالها ، ويسبى شبابها ليبيعهم فى أوربا .

حدث ذلك بعد أن اتصلت الملاحة على ساحل الأطلسى ، وارتبط العالم الحديث بالعالم القديم .

ففى أقل من خمسين عاما نقـل تجار الغرب إلى أوربا

عبيداً يبلغ عدد الباقى من ذريتهم – بعد القتل والاضطهاد نحو خمسة عشر مليونا فى الأمريكتين . وهو عدد يضارع خمسة أضعاف ضحايا النخاسة – يعنى بيع العبيد – فى القارات الثلاث منذ ألف عام .

« حقائق الإسلام لعباس محمود العقاد »

فى خمسين عاماً استرقوا حوالى ١٥ مليوناً فهل الغرب يعرف القيم ؟

عماد : لكن الغرب بعد ذلك ألغى تجارة العبيد وحررهم .

عارف : يا عماد يا ولدى .

يوم أن كان الغرب بحاجة إلى خدم يسخرهم لقضاء حاجته فى أوربا وأمريكا . كان يسمح بسرقة الأحرار السود ، ونقلهم لبلاده ، وبيعهم فى سوق العبيد .

فلما جاء الغرب واستعمر بلادنا ، وعزم على سرقة خيراتها وجد نفسه بحاجة إلى بقاء السود فى بلادهم ليزرعوا الأرض ، وينقبوا عن المعادن ، ويجندهم فى المعارك الخاسرة .

أبقى الاستعمار على السود فى أفريقيا عندما احتاج إلى الأيدى العاملة الرخيصة فى أفريقيا .

أبقاهم عبيداً له وتحت سياطه ، وحرم نقلهم إلى أوربا .

احتراماً للأخلاق المنفعة — التى يؤمن بها الغرب .

ياعماد . .

إن دلالة العمل أعظم من دلالة الشعارات .

كيف نصدق الغرب فى دعوته حقوق الانسان ونحن نرى داخل بلاده « مشكلة الملونين » لم تجد لها حلا حتى الآن .

يقول الأستاذ عباس محمود العقاد :

فإن فى الأمريكتين إلى اليوم أمة من السود معزولة بأنسابها وحظوظها وحقوقها العملية تماماً عن المجتمع » .

حقائق الاسلام

إن الرجل الأسود — حتى اليوم — لا يدخل مطاعم البيض . ولا يدخل مدارس البيض . ولا يركب سياراتهم .

ومع ذلك لا يستحى الغرب من دعواه تحرير العبيد ، واحترام حقوق الانسان .

* * *

تقول السيدة عائشة رضى الله عنها :

مابعث رسول الله ﷺ – زيد بن حارثة – فى سرية إلا أمره عليها قائداً .

ولو بقى زيد بن حارثة لاستخلفه النبى بعده .

أسد الغابة ح ١ ص ٢٧٧

وعندما استشهد زيد بن حارثة ، وجعفر بكى النبى عليهما وقال : أخواى ، ومؤنساى ، ومُحدثاى .

ولم يذكر القرآن إسم أحد من الصحابة إلا زيد بن حارثة فى قوله تعالى « فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها »

٣٧ الأحزاب

ياعماد . . .

هؤلاء هم العبيد فى ظل الاسلام .

لقد عين النبى أسامة بن زيد – وهو فى الثامنة عشر من عمره قائداً على جيش كبير ، كان فى طريقه إلى أول معركة دولية بين العرب والروم .

وكان كبار الصحابة جنوداً فى هذا الجيش وكان قرار تعيين أسامة هو آخر قرار أصدره النبى فى حياته . ثم لقى النبى ربه بعد أن أصبح العبيد قادة . والسادة جنود . والكل يعمل لحساب الإسلام .

• • •

عماد : لقد غابت هذه الحقائق عنا كثيراً . ولكن – ربما بحكم سنى – كنت أنتظر أن تنزل آية تلغى نظام الرق إلى الأبد . أعتذر – يا فضيلة الشيخ – أنا لا أقترح على الله . ولكنه حبى للإسلام ...

عارف : لو انتهت الحروب إلى الأبد .
وأغلقت مصانع الأسلحة .
وسرحت كل جيوش العالم .
وعاش الناس جميعاً فى محبة .
يومها فقط – يمكن أن يصدر الإسلام أمراً يلغى الرق .

عماد : هذا خيال بعيد .. الحروب باقية إلى يوم القيامة .

عارف : كذلك الرق - الذى اعترف به الاسلام باق إلى

يوم القيامة .

الإسلام ألغى كل أنواع الرق ، ولم يبح منه إلا استرقاق

أسير الحرب - الذى خرج من بيته يريد حرب الاسلام

وإضعاف شأنه . فوقع أسيراً . ومع ذلك لم يحتم الإسلام على

القائد المسلم أن يسترق كل أسير .

بل جعل للقائد الخيار بين أمور ثلاثة :

أولا :

أن يمن عليه بالحرية بلا مقابل - إن علم أن الاسير من

النوع الكريم ، ويمكن أن يصلحه العفو ويعيده إلى صوابه

بشرط أن يكون المن عليه بالحرية لا يقوى صفوف الأعداء .

ثانياً :

أن يقبل منه الفداء - مادياً كان هذا الفداء أو خدمة

تعود على المسلمين بالخير - كما فعل النبى ﷺ - مع أسرى بدر

ثالثاً :

تبادل الأسرى .

وقد أجاز أبو يوسف ومحمد – من تلاميذ أبي حنيفة – عملية تبادل الأسرى – بين المسلمين والمشركين – واستدلوا على ذلك بما روى أن النبي ﷺ استبدل أسيراً من بني عامر بن صعصعة بأسيرين من المسلمين كانت ثقيف قد أسرتهما .

(تفسير آيات الأحكام ج ٤ ص ٧٠)

وعملية تبادل الأسرى هي النظام المعروف في كل شعوب الأرض . ولكن الاسلام فاقها بالمنّ على الأسير تأليفاً لقلبه . قال تعالى :

« فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب . حتى إذا أثخنتموهم فشدّوا الوثاق .. فإمّا منّاً بعد .. وإما فداء .. حتى تضع الحرب أوزارها » .

فالإسلام شرع استرقاق الأسير – حتى يفدي نفسه ، أو تقوم الجماعة التي دفعته للمعركة بفدائه .

أو يظل رقيقاً في مجتمع مسلم فيرى حياة المسلمين وكرمهم في معاملة الأسرى فربما يهديه عقله للإسلام ، فالرق باق مابقيت الحروب .

والاســلام كان يسترق الأسير كما كان خصوم الاسلام يسترقون الأسرى من المسلمين .

وكل دول العالم حتى الآن تحبس الأسرى فى السجون الحربية حتى تفديهم أممهم .

عماد : الآن عرفت حقيقة الأمر . وفهمت منهج الإسلام إن الذين قرأنا لهم ظلموا الاسلام وجهلوا منهجه .

عارف : العجيب يا عماد ..
إن الذين يتهمون الاسـلام باسترقاق العبيد ، هم الذين استعبدوا الأحرار !!

عماد : هذا والله صحيح .. أكرمك الله .
وطلب المجلس من الشيخ أن يزيد من البيان المفيد ، ولكن الشيخ قد اعتذر ، لأن السائق قد حضر ، فإلى لقاء جديد لننهل ونستفيد .

الفصل الثانى

فى هذا اللقاء :

* الطبيعة وحدها .
* ما جئت لأنقض الناموس .
* زهرة فى الصحراء .
* أين أقرب إلى قلبه .
* لست كأحد من النساء .

عزم الشيخ على زيارة الريف البديع ، فى
إجازة فصل الربيع . ليتنعم بخيره الوفير ،
وجمال الغدير ، وشقشقة العصافير . وأدرك
شباب القرية ، أن الله ساق لهم هدية .
فسارعوا إلى الشيخ فرحين ، ليتمتعوا
بحديثه فى الدين . وفرح الشيخ بالشباب ،
وقدم لكل سؤال جواب .

وائل : حمداً لله على سلامتك - يا شيخ عارف -
لقد وجهتنى إلى القراءة ، فدللتنى على كنوز زاخرة .
عارف : ما زلت تقرأ المستشرقين ؟
وائل : أنا لا أعصى لك أمراً يا شيخ عارف .
فمخالفة الطبيب ، قد تسبب الموت .

لقد قرأت فقه السيرة للإمام محمد الغزالى ، والأستاذ محمد
سعيد البوطى ، وحياة محمد . للأستاذ هيكل . وأعجبنى
اهتمامه بالمستشرقين والرد عليهم . وأقرأ الآن « زاد المعاد » .
والروض الأنف .

بقيت عندى مسألة واحدة، أحب أن أنتفع فيها بالحوار معك . وهى مسألة « تعدد زوجات النبى - ﷺ -
بل « تعدد الزوجات » بصفة عامة .

عارف : الحياة الزوجية عند المرأة تتعطل فى كل شهر مدة قد تصل إلى عشرة أيام .

كما تتعطل بعد الحمل والولادة ، مدة قد تصل لشهرين .

وطباع الرجال تختلف .

فلو تزوج رجل متطرف جسدياً بامرأة أخرى فله بعض العذر حتى لا يقع فى جريمة الزنا .

ولكن هذا السبب لا يعنينا كثيراً .

فالرجل السوى أقوى من رغباته .

ولكن تشريعاً كالاسلام ، يجب أن يأخذ فى اعتباره كل الطباع البشرية حتى يتسع لكل الناس .

والإباحة غير الإلزام أو الندب .

* * *

ولكن المهم فى الموضوع أن الاحصائيات العالمية تؤكد زيادة عدد النساء على عدد الرجال .

خصوصاً بعد الحروب الكبيرة التى تأكل الرجال .

فلو تزوج كل رجل بامرأة واحدة لبقى عدد كبير من النساء بلا زواج .

يعشن طاقات معطلات أو متسولات جنسياً . فأى الحلين أكرم للمرأة ؟

وائل : بدون شك الحل الثانى لا يرضاه كريم .

عارف : من أجل ذلك أباح الاسلام تعدد الزوجات .

وائل : يعنى المشكلة مشكلة طبيعية والاسلام شرع التعدد ليعالجها .

عارف : ليس الاسلام وحده الذى أباح التعدد .

الديانة اليهودية قد أباحت التعدد بلا قيد .

والديانة النصرانية هى امتداد لشريعة التوراة . لأن السيد المسيح قال :

« ما جئت لأنقض الناموس »

وائل: قلت يافضيلة الشيخ إن التوراة أباحت التعدد بلاقيد.

عارف: نعم.

القرآن وحده هو الذى قيد العدد بأربع نساء.

أما التوراة، فأخبرت بأن سليمان عليه السلام — تزوج ثلثمائة امرأة بعقد دائم، وسبعمائة امرأة من الإماء.

« سفر الملوك ١١ — ١ »

وهذا الخبر موجود فى الكتاب المقدس — الذى يؤمن به اليهود والنصارى.

نجيب: « متعجباً » ألف امرأة !!

وائل: الأعجب يا نجيب أن هذا الموضوع لايثيره أحد من المستشرقين الذين يهاجمون سيرة النبى ﷺ ودائماً يركزون على زواج النبى وحده.

عارف: اليهود — فى العالم — يتحكمون فى الإقتصاد، وأجهزة الإعلام.

وسليمان.. يهمهم يا وائل.

وائل: هذا صحيح.

ولكن بقى عندى سؤال :
لماذا زاد النبى على أربع نساء ؟

نجيب: هذه ميزة كافأ الله بها النبى ﷺ .
عارف : هل اجتماع تسع نساء أرامل ميزة ومكافأة ؟
سأضرب لك مثالا يا وائل :

أحد أصدقائى له ولدان بالجامعة .

أعطى الأول ألف جنيه ، وقال له : ليس لك عندى أى مال بعد ذلك .

وأعطى الثانى عشرة جنيهات ، وقال له : إن أنفقتها فى أسبوع فخذ غيرها .

فأى الولدين فضله أبوه فى العطاء ؟

نجيب : الثانى طبعاً .

لأن باب العطاء أمامه مفتوح .
عارف : بدون تشبيه ولله المثل الأعلى .

المسلم أن يجمع أربع نساء فى عصمته .

فإذا ماتت واحدة أو طلقها ، ومضت مدة عدتها . فله أن

يتزوج غيرها ، الباب مفتوح أمامه .

إذا كان قادراً عادلا[1] .

أما النبي ﷺ فقد أباح الله له تسع نساء ثم قال له (لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن) « الأحزاب ٥٢ »

وائل : ولكن هل يعتبر زواج النبي ﷺ من التسع نساء إستثناءاً من الآية الكريمة . قال تعالى (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع) النساء ٣

عارف : النبي لم يخالف نصاً قرآنيا أبداً . لقد نزلت الآية القرآنية الكريمة التي حددت العدد بأربع فقط نزلت في السنة الثامنة من الهجرة ، وكان النبي يومها قد جمع كل نسائه .

---

(١) المتزوج من أربعة لو طلق واحدة منهن فليس له الحق أن يتزوج غيرها حتى تنتهي عدتها ، أي عدة الزوجة المطلقه وهذه الحالة تجب العدة فيها على الرجل ، كما تجب على المرأة .

« راجع حاشية ابن عابدين ج٣ ص ٥٠٣ »

نجيب : هل تحفظ تاريخ نزول سور القرآن يا فضيلة الشيخ عارف ؟

عارف : يا نجيب سورة النساء التي حددت العدد بأربع نزلت بعد سورة الممتحنة وسورة الممتحنة نزلت والنبي يستعد لفتح مكة . ومعلوم أن سبب نزولها هو إرسال (حاطب بن أبي بلتعة) المشركين يخبرهم بعزم النبي على فتح مكة .

فالنبي عندما تزوج تسع نساء كان الجمع مباحا لأي عدد .

ولما نزلت آية التحديد بأربع فقط ، كان بعض الصحابة عنده أكثر من أربعة .

فاحتفظ بأربعة منهن ، وطلق الباقيات .

وائل : لماذا لم يطلق النبي ﷺ الزائدات ؟

عارف : أي امرأة طلقت لها الحق أن تتزوج من رجل آخر .

أما نساء النبي ﷺ فلا يجوز لأي مسلم أن يتزوج منهن . لأنهن أمهات المؤمنين . قال تعالى : « النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم . وأزواجه أمهاتهم » الأحزاب .

لذلك حرم الله على المؤمنين أن يتزوجوا نساء النبي بعده.

قال تعالى : « ما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً » الأحزاب ٥٣

فلو طلق النبي إحدى نساءه لبقيت بلا زوج .

من أجل ذلك أحل الله نساء النبي له . قال تعالى : « يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك » الأحزاب ٥٠

. . .

وهناك سبب آخر لبقاء نساء النبي عنده .

وهو أن زواج النبي زواج رسالة .

تختلف مقاصده عن أي زواج آخر .

فلو طلق النبي واحدة منهن ، لضاعت الحكمة من الزواج بها

نجيب : ما هي المقاصد التي تعنيها ؟

عارف : مقاصد أربعة :

أولا : إنساني .

ثانياً : سياسي .

ثالثاً : تشريعي .

رابعاً: تعليمى.

وأوجز الحديث فى شرحها.

. . .

السبب الأول:

سبب إنسانى. كرم النبى - ﷺ - به أرامل الشهداء — الذين دفعوا أرواحهم لحماية الاسلام تاركين وراءهم أرامل ويتامى.

فالأرملة العجوز السيدة سودة بنت زمعة - رضى الله عنها - تقول: والله لا حاجة بى إلى الرجال، ولكننى أردت أن أبعث مع زوجات النبى أمهات المؤمنين.

والأرملة الثانية — أم سلمى — وهى أرملة ذات يتامى تزوجها النبى بعد استشهاد زوجها، حماية لها ورعاية لليتامى.

والأرملة الثالثة - هى السيدة حفصة بنت عمر - استشهد زوجها وعرضها أبوها على أبى بكر فاعتذر، وعرض زواجها على عثمان فاعتذر، فكرم النبى عمر وتزوج من حفصة.

. . .

السبب الثانى :

سبب سياسى – استطاع به النبى ﷺ أن يؤلف قلوب عداته الذين حاربوه خوفاً على مراكزهم الاجتماعية .

لقد صاهرهم النبى فصهر ما فى قلوبهم من حقد على النبى وعلى دعوته .

تزوج من السيدة أم حبيبة بنت أبى سفيان .

وتزوج من السيدة صفية بنت حيى بن أخطب ملك اليهود .

وتزوج من السيدة جويرية بنت سيد بنى المصطلق .

وقد أجمع المؤرخون أن هذا الزواج قد فعل ما لم تفعله الحروب الضارية – فقد ألف القلوب التى طالما حقدت على الاسلام وعلى نبى الاسلام ، فدخل أقوامهم فى دين الله أفواجا(١)

---

(١) معلوم من دراسة التاريخ أن زواج النبى من السيدة صفية بنت حيى لم يؤت الثمرة التى رجاها النبى من الزواج - وهى هداية قومها من اليهود .

السبب الثالث :

سبب تشريعى . أراد الله به أن يكون النبى هو أول من يطبق الأمور الحرجة من الشريعة على نفسه أولا . فعندما ألغى الاسلام نظام التبنى أراد الله أن يمحو كل الآثار التى كانت تترتب عليه . وأهم هذه الآثار أن العرب كانت تحرم على الرجل أن يتزوج من مطلق متبناه ، فأمر الله نبيه أن يتزوج من السيدة زينب بنت جحش - بعد أن طلقها زوجها - زيد بن حارثة - الذى كان النبى تبناه قبل النبوة - وهو أصعب زواج على النبى ﷺ لما أثاره من كلام المنافقين .

ولكن الله هو الذى زوجه . قال تعالى :

« فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها ، لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولا » ۳۷ الأحزاب

* * *

السبب الرابع :

هو أن زوجات النبى ﷺ كن مدرسات فى جامعة النبى

ﷺ يأخذن عنه ما يتعلق بالمرأة من أحكام شرعية ، ويعلمن نساء المسلمين . وقد فرض الله على نساء النبي أن يلازمن بيت النبي ليتعلمن منه ماينزل من السماء ، ثم يعلمن الناس . قال تعالى « واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة »

٣٣ الأحزاب

* * *

مشيئة الله .

وقد شاء الله أن لا يشغل نساء النبي بالحمل والولادة وتربية الأطفال ، حتى لا ينشغلن عن الرسالة — لقد كان نساء النبي صالحات للحمل ، وبعضهن أنجبت أطفالا قبل الزواج من النبي والنبي كان صالحا للإنجاب ، وقد أنجب بالفعل قبل الزواج منهن لقد أنجب من السيدة خديجة ، ورزقه الله بإبراهيم من السيدة مارية القبطية .

فما سر عـــدم حمل نسائه منه — ﷺ — ؟ إنه زواج رسالة يا نجيب .

نجيب : الآن عرفت حكمة الله البالغة من زواج النبي ﷺ

ولو كان النبي يريد بالزوجات ما نريد عن من زوجاتنا لعدد الزوجات فى سن الشباب .

الشيخ : النبي ﷺ لم يعدد الزوجات إلا بعد الثالث والخمسين من عمره . وقد قضى صدر شبابه مع السيدة خديجة التى كانت تمثل فى حياته دور الأم والزوجة .

نجيب : تعدد الزوجات لا يعيب الرجل — ولكن الذى يعيبه أن يشغله هذا الزواج عن الأمور الكبيرة . أو يميل قلبه إلى زوجة فيظلم الباقيات ، ويضيع أولادهن .

الشيخ : أحسنت يا نجيب .

لقد كان النبي ﷺ — نموذجاً للعدل المطلق بين نسائه .
ولو درسنا التاريخ لوجدنا أن فترة تعدد الزوجات فى حياة النبي هى فترة الجهاد المقدس فقط .
وهى الفترة التى انشغل فيها النبي فى كل لحظة من حياته بالدفاع عن دولة الحق وتثبيت أركانها . ويمكنكم يا أولادى أن تقسموا حياة النبي إلى أربعة مراحل متميزة :

أولا : مرحلة الشباب :

[illegible] وكان عفاً نظيفاً فى بيئة
لا تعرف العفاف .

فلو عاش كما يعيش غيره ما عاب أحد عليه ذلك ولكن الله أراد عصمته وطهارته فى مرحلة الشباب التى تفسر شخصية الإنسان وتكشف معدنه .

. . .

ثانياً : الزوج الكريم .

المرحلة الثانية فى حياة الرسول – ﷺ – من الخامس والعشرين ، إلى الثالث والخمسين .

وكان النبى فيها زوجاً لامرأة واحدة .

كانت تكبره بخمسة عشر عاماً .

وتزوجها ثيباً .

ومع ذلك لم يتزوج عليها وفاء لها واكتفاء بها ولم يكن هناك مانع عرفى من تعدد الزوجات .
فلما ماتت ظل النبى بلا زوجة خمس سنوات .
وانتهت مرحلة الشباب وجاءت الشيخوخة .

المرحلة الثالثة :

مرحلة الجهاد المقدس .

من الثالث والخمسين إلى الواحد والستين . هى مرحلة الجهاد والتعب .

وهى المرحلة الوحيدة التى عدد للنبى فيها الأزواج . مع كثرة انشغاله وجهاده .

. . .

المرحلة الرابعة :

من الواحد والستين إلى أن لحق بالرفيق الأعلى . وهى مرحلة النصر والوفود والمعاهدات .

لقد تم فتح مكة وسقطت دولة الأصنام إلى الأبد .

وبدأت ثمار المعارك تدنوا قطوفها .

وأوشك النبى أن يستريح بعض الشىء .

ولكن هذه المرحلة حرم الله فيها على النبى الزواج .

لأن الزواج قد أدى رسالته .

قال تعالى :

« لا يحل لك النساء من بعد ، ولا أن تبدل بهن من أزواج

ولو أعجبك حسنهن » الأحزاب ٥٢

نجيب : سبحان الله .. !!

المرحلة التي ينشغل فيها الإنسان عن أهله ، هي وحدها

مرحلة تعدد الزوجات .؟!

لقد أيقنت أنه زواج رسالة ..

ألف القلوب وجمع الأمة .

* * *

وائل : ليت فضيلة الشيخ يحدثنا عن بيت النبي ، الذي جمع

تسع نساء .

عارف : إن شاء الله ـ بعد تناول الطعام .

يجلس الجميع على الطعام يتجاذبون أطراف الكلام .

وتدور الذكريات بما فيه العظات .

فلنترك الجماعة ساعة أو بعض ساعة .

وائل : بالله عليك يا شيخ عارف .

هل كان النبي فى مثل هذا النعيم ؟

الشيخ : « يبتسم ويقول : « روت السيدة عائشة - رضى الله عنها - أن بيت النبى - ﷺ - كان يقضى الشهر والشهر ولا يوقد فى البيت نار على طعام . » الحديث بتمامه فى صحيح مسلم »

نجيب : على اى شىء يعيشون ؟

عارف : على الماء والتمر .

وقد روت السيدة سلمى - امرأة أبى رافع - رضى الله عنها أن الحسين بن على ، وعبد الله بن جعفر . وعبد الله بن عباس - رضى الله عنهم - طلبوا منها أن تصنع لهم طعاماً ، كان النبى يحبه .

فقالت لهم : يا بنى .. إذن لا تشتهونه اليوم .

فقامت وطحنت الشعير ، وجعلت منه تخبز ، وتضع لهم الزيت فوقه . ثم وضعت لهم الفلفل وقدمته لهم ، وقالت : كان النبى يحب هذا الطعام . « رواه الطبرى »

يا أبنائى :

لقد كان النبى ﷺ ينام على حصير فيؤثر على جنبه الشريف

فلما رآه عمر بن الخطاب بكى .

وقال : إن كسرى وقيصر ينامان على الحرير .

فقال النبي الكريم :

هؤلاء أقوام عجل الله لهم الدنيا .

« حياة الصحابة جـ٢ ص ٧٦٠ »

وكان النبي يبسط رداءه للضيف ، ويبش في وجهه .

نجيب : كل شيء في حياة النبي يؤكد صدقه .

عارف : لقد بدأ النبي دعوته ، وهو زوج لأغنى امرأة في قريش .

فبذل مالها في سبيل دعوته .

ولما شرع الإسلام الزكاة ، والصدقة . وهما مصـــدران واسعان للثروة .

نرى النبي ﷺ يحرم أموال الزكاة والصدقة عليه وعلى آل بيته .

روى البخاري عن أبي هريرة — رضي الله عنه — أن الحسين بن علي — رضي الله عنهما — أخذ تمرة من تمر الصدقة

وهو طفل – لجعلها فى فيه – فقال النبى ﷺ له : (كخ كخ) ليطرحها . ثم قال : « إنا آل محمد لا تحل لنا الصدقة » .

وعن أنس – رضى الله عنه – أن النبى ﷺ وجد تمرة فقال : لولا أنى أخاف أن تكون من الصدقة لأكلتها .

« متفق عليه »(1)

نجيب : عليك السلام يا رسول الله .

جعلت غرم الإسلام وتكاليف دعوته عليك وعلى آل بيتك .

وجعلت غنم الإسلام لأمتك .

عارف : صدقت وأوجزت يا نجيب .

لقد فتح الله كنوز الأرض للنبى ﷺ وجاءته الغنائم من كل مكان .

ومع ذلك أصر النبى على عيشة الكفاف .

---

(1) كتب الدكتور يوسف القرضاوى بحثاً وافياً فى هذا الموضوع فى كتابه « فقه الزكاة » ج ٢ ص٧٢٨

مع أنه رئيس دولة وقائد أمة .

ودينه لا يحرم على الناس متاع الحياة الشريف .

لقد تحدث القرآن عن هذه الفضيلة بجلاء .

فعندما رأى نساؤه أن كل بيوت المسلمين قد وسع الله عليها وأصبحت ذات مطعم شهي وملبس كريم .

إشتاقت نفوسهن إلى حظهن من المتاع .

وكان مطلبهم عادلا .

ومن طبع النبي ﷺ أن يحترم بشرية الإنسان .

ومع ذلك وقف النبي من طلب نسائه موقفاً شديداً .

واعتزل النبي نساءه شهراً كاملا .

ونزل القرآن يؤيد حزم النبي .

وخير نساء النبي بين البقاء في بيت النبي على حالهن وبين الطلاق . قال تعالى :

« يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا . وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن

أجراً عظيما » الاحزاب ٢٩

وائل : وماذا إختار نساء النبي ؟

عارف : جميعهن إخترن الله ورسوله .

نجيب : إن بعض نساء النبي كن بنات ملوك وأمراء وكن يعشن في دلال في بيوت آبائهن .

ولكن شرف جوارهن للنبي أعظم من كل متع الحياة .

عارف : لم يكن نساء النبي وحدهن في هذا الشظف من العيش .

لقد إمتد إلى بيت السيدة فاطمة الزهراء أيضاً .

لقد أدارت الرحى بيدها لطحن الشعير ، حتى أثرت الرحى على يدها .

وعندما سألت النبي خادماً يساعدها . قال لها : لاأعطيك وأدع فقراء المسلمين .

ثم ضمها النبي إلى صدره عندما رآها تدمع ، وقال لها : ألا أدلك على خير من ذلك ؟

سبحي الله ثلاثاً وثلاثين .

واحمدي الله ثلاثاً وثلاثين .

وكبري الله أربعاً وثلاثين.

فهذه مائة خير لك من الدنيا وما فيها .

وائل : من يبحث عن الجنس والمتعة يمهد لها ويملأ حياة نسائه بالترف حتى ينعكس ذلك عليهن دلالا ونضرة في وجههن.

ولكن همة النبي أعظم واهدافه من الزواج أكبر .

ولكنني أسأل :

هل كان نساء النبي ﷺ تحدث بينهن ما يحدث بين النساء من الغيرة ؟

عارف : تنافس نساء النبي على القرب من قلبه ، والتسابق على الفوز برضاه أمر مشروع .

لأن محاولة التقرب إلى قلب الزوج – النبي – ولاكتساب مودته عمل عظيم . وهو السبب فيما بدا منهن من غيرة ولكن النبي كان يعالج هذه الأمور بحكمة بالغة .

إن قيادة الجيوش الكبيرة أهون من قيادة تسع ضرائر يتنافسن على رجل عظيم .

لقد كان فيهن الزوجة العجوز ، والشابة الفتية .
كان فيهن الأرملة الفقيرة ، ومنهن بنات الملوك .
ومع ذلك كان عدل النبى يشعر كل زوجة بأنها أقربهن الى قلب النبى ﷺ .

كان يعدل بينهن فى العطاء ، وفى المبيت حتى فى الابتسامة .
فلم تشعر الزوجة الفقيرة بأنه يكرم الأخرى لأنها بنت أمير أو ملك .

ولم تشعر بنات الأمراء والعظماء أنه يفضلهن على الأرامل الفقيرات .

حتى ميل القلب ــ الذى لا دخل للإنسان فيه . . . كان النبى يعتذر لله عنه محاسبته لنفسه عليه .

لقد كانت هيبة النبى كبيرة فى قلوب أصحابه .
حتى كان بعض الصحابة : لا يقوى على النظر للنبى من فرط هيبته . وقد قال البصيرى :

كأنه وهو فرد من جلالته

فى عسكر حين تلقاه وفى حشم

لذلك كان النبى يحاول أن يجعل من نفسه الزوج محمد ولا يجعل نفسه فى البيت الزوج النبى .

وذلك حتى تأخذ نساؤه حقهن .

فكان يسمح لهن بالمزاح والمداعبة فيما بينهن وهو يبتسم .

تروى السيدة عائشة — رضى الله عنها — أنها أتت النبى ﷺ بحريرة فيها طعام قد طبختها له ، وطلبت من السيدة سودة بنت زمعة أن تأكل منها . فلما امتنعت قالت عائشة : إما أن تأكلى وإما أن ألطخ وجهك بالطعام .

فلما أصرت سودة على عدم الطعام طلت عائشة وجه سودة بالطعام .

فضحك النبى — ثم أخذ قطعة من الطعام وقال لسودة : ألطمى وجهها . وضحك النبى .

فلما سمعن صوت عمر قال النبى لها : اغسلا وجهيكما .

قالت عائشة : فما زلت أهاب عمر لهيبة النبى له .

« رواه ابن عساكر »

بمثل هذا الأسلوب استطاع النبى أن يجمع قلوبهن .

وكان يراعى متطلبات سن كل واحدة منهن .
وظروفها النفسية .

فيسابق عائشة — رضى الله عنها — فى سفر فتسبقه . ثم يسابقها فيسبقها . فيقول لها : هذه بتلك . (رواه أحمد)

تدخل « ساجدة » زوجة الشيخ وتقدم بعض الفاكهة وتطلب من الشيخ أن يخرج معهم إلى شاطئ النهر ويجيب الشيخ طلبها »

وائل : « يبتسم ويقول » : شيء جميل أنك تلبى مشورة أم هشام .

عارف : لقد كان النبى يستشير نساءه فى الأمور الكبيرة .

فعندما عزم النبى ﷺ على الرجوع من صلح الحديبية ، ولم يدخل مكة ، ولم يعتمر ، أمر الناس أن يتحللوا من الإحرام فيحلقوا أو يقصروا . عند ذلك أخذ الغم قلوب المسلمين ، لعدم أدائهم العمرة ، فجعلوا يتباطئون فى التنفيذ ، آملين أن يسمح الله لهم بدخول البيت الحرام .

ودخل النبى على أم سلمة — زوجته — وقال لها : هلك الناس ...

أمرتهم فلم يفعلوا .
قالت : أخرج امامهم واحلق رأسك فلن يتباطئوا .
فخرج النبي وحلق شعره . فسارع الجميع إلى الحلاق .

نجيب : هذا تكريم عظيم للمرأة .
عارف : ليت نساءنا يدرسن عطاء الإسلام للمرأة .
الإسلام حررها من رق الجاهلية .
حررها من الوأد .
حررها من قيود المجتمع الظالم ومن الجهل .
جعل تعليمها هو مجال انطلاقها نحو معرفة نفسها .
وكان النبي يجلس ليدرس لهن ، ويجيب على أسئلتهن .
عن أم سلمة – زوجة النبي ﷺ – أن أم سليم قالت :
يا رسول الله : إن الله لا يستحى من الحق .

هل على المرأة من غسل ، إذا احتلمت ؟
قال : نعم . إذا رأت الماء .
– أى إذا رأت بعد اليقظة ما يؤكد احتلامها .
قالت – زوجة النبي – فضحكت . وقلت : أتحتلم المرأة ؟

فقال النبي : نعم .

وعندما اقترحت امرأة على النبي أن يتخذ منبراً . وافق النبي على ذلك . فتح الباري ج ١ ص ٤٤٩

وقد جعل النبي المسجد ميداناً لتعليم النساء .
لذلك ... نهى النبي الأمة عن منع النساء من المساجد .
قال – ﷺ – لا تمنعوا إماء الله مساجد الله وليخرجن تفلات » « رواه أبو داود »
نجيب : ما معنى تفلات ؟
عارف : أى غير متبرجات بزينة .

ساجدة : لقد تم استعدادنا للخروج .
تخرج الأسرة فى محبة وهناء ،
ومودة وصفاء .

الفصل الثالث

* قاتلوا أئمة الكفر .
* الإحصائيات أصدق .
* أين ذهب المغول .
* انتشار الإسلام شيء آخر .

مع جمال الريف ، وهوائه اللطيف جلس الشباب الكرام ،
ينعمون بحلو الكلام . ويطلبون من الشيخ إطالة المقام .
فإلى بستان نجيب فى حياه ، يجمعنا الحب والوفاء .

وائل : عرفنا فى لقائنا السابق عظمة النبى فى بيته .
فهل يمكن يا فضيلة الشيخ أن نناقش مشروعية القتال فى الإسلام ؟

الشيخ : « مبتسما » ماذا تعنى يا وائل ؟

وائل : والله يا فضيلة الشيخ إننى الآن أؤمن بالله إيمانا بلا حدود .

وأؤمن بنبوة محمد — ﷺ — وعن يقين .

وطهر الله قلبى من كل شىء قرأته للمستشرقين .

لكننى أطلب المزيد من الحق .

الشيخ : أنت تعرف يا وائل أن النبى ﷺ جاهد كثيراً بالحجة والبرهان ، ليوقظ العقل البشرى .

وكان يهدف بذلك إلى تحرير الانسان من عبودية غير الله .
ولكن زعماء الشرك أفزعهم الأمر ، وخافوا على مناصبهم

ومصالحهم . فرفعوا السيف فى وجه النبى ، وعذبوا أتباعه ، وألجأوهم إلى الهجرة ، وصادروا ديارهم وأموالهم .

ويومها . . لم يكن فى استطاعة النبى - ﷺ - سوى أن يواسى أصحابه ويطالبهم بالصبر ويبشرهم بالفرج .

هاجر النبى . . وهاجر أصحابه . . ووجدوا فى المدينة تربة خصبة وقلوباً صافية .

وانتشر الاسلام . .

وعلت كلمة الله . .

ويومها أذن الله للمستضعفين أن ينتصروا .

قال تعالى : أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا . . وإن الله على نصرهم لقدير .

الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا : ربنا الله . ٤٠ الحج

فالآية الكريمة وضحت سببين لفرض القتال .

السبب الأول :

أن المسلمين مقاتلون من جهة أعدائهم طوال مدة إقامتهم بمكة .

ثانياً : أنهم ظلموا :

ومن حق المظلوم أن يدافع عن نفسه وينتصر لها .

ومن شيم أصحاب النفوس الكريمة ترفعهم عن الاستكانة والمذلة .

قال تعالى في وصف المؤمنين :

والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون ..

وجزاء سيئة سيئة مثلها .. فمن عفا وأصلح فأجره على الله . إنه لا يحب الظالمين .

ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل . إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق »

٣٩ إلى ٤٣ الشورى

فانتصار المظلوم لنفسه واجب وكرامة .

نجيب : والآية تشير أيضاً إلى العفو « فمن عفا وأصلح فأجره على الله » .

الشيخ : العفو الذى تعنيه الآية هو عفو المنتصر الراغب في الاصلاح ، وليس عفو المستضعف المستكين .

والانتصار للنفس والعفو عند المقدرة أمران لا يستطيعها
المستضعف من الناس .

وعندما انتصر النبى على أهل مكة عفا عنهم عفو القادر .
وقد طلب القرآن من المسلمين أن يقاتلوا من أجل نصرة جماعة
من المسلمين يعيشون فى مكة - تحت ظل سيوف الشرك -

قال تعالى : « وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين
من الرجال والنساء والولدان - الذين يقولون ربنا أخرجنا من
هذه القرية الظالم أهلها . واجعل لنا من لدنك ولياً . واجعل لنا
من لدنك نصيرا »   ٧٥ النساء

إنهم لا يملكون إلا الدعاء .

فعلى الأمة أن تقاتل من أجل حمايتهم .

فالقتال هنا دفاع عن النفس . « عسى الله أن يكف بأس
الذين كفروا »   ٨٤ النساء

وكف بأس الكافرين هو الغاية من القتال .

* * *

السبب الثانى :

هو الدفاع عن الدعوة الاسلامية وحمايتها .

وهو سبب دائم فى كل عصر . لدوام كيد أعداء الاسلام له

ولقد طلب الاسلام - يا وائل - من المسلمين أن يقاتلوا أئمة الكفر - الذين ينتفعون - ماديا أو اجتماعيا - من الكفر .

قال تعالى : « وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم . وطعنوا فى دينكم . فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون »
١٢ التوبة

وقتال أئمة الكفر يهدف إلى تحطيم الحواجز التى وضعوها أمام دعاة الحق .

فإذا تحطمت الحواجز ، ودخل الدعاة إلى الحق بلاد الكفر والتحموا بالجماهير ، فإن المجال بعد ذلك للعقل فقط .

* * *

وقد دلت تجربة الهدنة - التى نص عليها صلح الحديبية بين المدينة ومكة - أن الاسلام دين دعوة واقتناع .

لقد توقف القتال عامين فقط بسبب الصلح .

وحل خلالها جيش الدعوة والإقناع مكان جيش الدفاع والردع
فكانت النتيجة أن تضاعف عدد المسلمين خمس مرات فى عامين
— عن العدد الذى دخل الاسلام فى تسعة عشر عاماً — تحت
ظل السيوف —

نجيب : نرجو توضيح هذه المسألة يا شيخ عارف .

الشيخ : لو استعملنا لغة الأرقام يتضح الأمر .

المدة من بدء الدعوة الاسلامية إلى أن تم صلح الحديبية
هى تسعة عشر عاماً .

ومع ذلك كان عدد المسلمين — الذين خرجوا مع النبى —
للعمرة - يوم صلح الحديبية - حوالى ألفين فقط .

بدأت الهدنة واستمرت عامين ، ثم نقضت قريش المعاهدة
فقام النبى - ﷺ - بفتح مكة .

وكان معه عشرة آلاف مقاتل .

معنى ذلك أن عدد المسلمين قد تضاعف خمس مرات فى
عامين . نتيجة لتوقف الحروب وعمل الدعاة .

نجيب : هذه المعادلة الحسابية تكفى وحدها لدفع شبهات
المستشرقين .

وائل : فلماذا انتشر الإسلام بالسيف .

الشيخ : أعجبنى – يا وائل – قول المرحوم عباس محمود العقاد :

« لقد إنتصر الإسلام على السيف ولم ينتصر بالسيف » .

شيماء : ما الفرق بين انتصر بالسيف . . أو انتصر على السيف ؟

الوالد : لا يا شيماء . .

الفارق كبير . . فمعنى العبارة : أن الإسلام إنتصر على السيوف التى رفعت فى وجهه وحطمها .

لأن المشركين رفعوا سيوفهم ثلاثة عشر عاما فى وجه الإسلام قبل أن يشرع القتال .

وأنت يا وائل وقعت فى خطأ وقع فيه كثير من الدارسين الإسلام .

وائل : ما هو ياشيخ عارف ؟

الشيخ : يخلط كثير من الناس بين الفتوحات الإسلامية وبين انتشار الإسلام .

مع أن الفارق كبير.

الفتوحات الإسلامية مسألة عسكرية .

سيف أمام سيف .

تستهدف تحطيم الحواجز ، وفتح الباب أمام الدعاة .

أما إنتشار الإسلام فمسألة عقلية قلبية .

إذا نجح الجيش الإسلامى فى تحطيم الحواجز فقد فتحت البلد للمسلمين .

فيدخل الدعاة ، والتجار فيلمس أصحاب البلاد أنفسهم ملامح دين جديد .

جديد فى منهجه وسلوكه .

جديد فى كفالته حرية أصحاب البلاد .

جديد فى تكافله الإجتماعى ، وإحترام الفقير .

حرم الربا ، وسوى بين الناس ، بل أعطى الأقليات الدينية - التى تعيش فى رعايته من الحقوق أكثر مما أعطى المسلمين -

وائل : أعتقد أنك تقصد : مثل ما أعطى للمسلمين .

الشيخ : لا يا وائل .

لقد قرأت لأحد المستشرقين هذه الشهادة .

واستدل عليها باستدلال قوى .

فقال : إن الإسلام حرم على المسلمين ملكية الخمر والخنزير
بينما أباح لأهل الكتاب ملكية الخمر والخنزير .

فقد أعطاهم حق ملكية الخمر والخنزير بينما حرمهما على
المسلمين . فمن قتل خنزيراً لنصراني ، وجب عليه التعويض
العادل .

ومن سفك خمراً ، أو قتل خنزيراً لمسلم لا يجب عليه
التعويض .

لقد رأى أصحاب البلاد أنفسهم أمام صورة الإسلام
الصحيحة وسماحته .

وقد تزوج المسلمون من نساء أصحاب البلاد - الكتابيات -
[illegible] يرغموهن على ترك دينهن ، بل كفلوا لهن حرية العقيدة ،
وممارسة العبادة ، وراعوا حقوق النسب - مع اختلاف الدين -
يكرموهن ود أهلهن من غير المسلمين .

وأقول : إن سلوك المسلمين العملي أغناهم عن الخطب الطويلة

والقصائد الرائعة لأن دلالة الفعل أقوى بكثير من دلا
الكلمات .

الشيخ : لقد إنتشر الإسلام — يا وائل — فى كثير من
البلاد التى لم يفتحها جيش المسلمين .

يقول الأستاذ سامى محمود فى كتاب إنتشار الإسلام
ص ١٨ :

وقد نجح المسلمون فى أوربا فى الدعوة إلى الإسلام وانتشر
عدد من مفكرى الإسلام فى دول مختلفة من أوربا وكانت
دعوتهم تأتى عن طريق الفكر والمنطق والمجادلات العلمية .

وقد نجح عدد من جنود الإسلام المجهولين فى الدعوة
للإسلام ... وكانوا هم أنفسهم القدوة الحسنة للإسلام .
كما إنتقلت ملامح الإسلام إلى أوربا عن طريق الأفراد
والجماعات الذين عاشوا فى أسبانيا تحت ظل الحكم الإسلامى .

ويقول سيادته أيضاً

والمسلمون فى بلجيكا من أقوى العناصر وأشدهم إيماناً وعملاً
على حماية المسلمين المغتربين فى أوربا .

يا وائل : . . لقد انتشر الاسلام عن طريق التجار الصادقين ، وانتشر عن طريق مخالطة المسلمين مع غيرهم من أهل البلاد .

بينما فتحت بعض البلاد عسكريا ، وحكمها المسلمون قروناً طويلة ، وخرجوا منها وبقى أهلها على دينهم .

لم يرغمهم المسلمون على ترك دينهم .

فمثلا . . بلاد الأندلس ، فتحها المسلمون ، وبقيت تحت حكم المسلمين قرابة ثمانمائة سنة ، وخرج المسلمون منها ، وبقى أهلها على النصرانية .

فبلاد انتشر فيها الإسلام ولم تفتح عسكرياً .

وبلاد فتحت عسكرياً ولم ينتشر فيها الاسلام (١)

---

(١) يقول « دوزى » عن آثار فتح المسلمين الأندلس : كان الفتح العربى من بعض الوجوه نعمة على إسبانيا ، فقد أحدث فيها ثورة اجتماعية هامة ، وقضى على كثير مما كانت البلاد تعانيه منذ قرون ، وتحطمت سلطة الأشراف ، والطبقات الممتازة ،

. . . . . .

ثم كان الفتح عاملا فى تحسين أحوال الطبقة المستعبدة ، إذ كان الاسلام أكثر تعضيداً لتحرير الرقيق من النصارى .

ويقول الأستاذ (لاين بول) :

« أنشأ العرب حكومة قرطبة التى كانت أعجوبة العصور الوسطى ، بينما كانت أوربا تتخبط فى ظلمات الجهل ، فلم يكن سوى المسلمين من أقام بها منائر العلم والمدنية »

اما المؤرخ الامريكى «سكوت» فيقول :

«وكان يسمح للورع المتعصب أن يزاول شعائره دون تدخل والأحبار يزاولون شئونهم فى سلام . أما أقوال كتاب النصارى التى ينسبون فيها للعرب أفظع المثالب ، فهى محض افتراء ومبالغة»
راجع « دولة الاسلام فى الأندلس للأستاذ محمد عنان » صفحة ٦٣ وما بعدها .

وهذا يؤكد أن الفتح الاسلامى شىء،
وانتشار الإسلام شىء آخر .

وقد ذكر صاحب « قصة الحضارة » ج ١٤ ص ٢٦٣ :
بعض العوامل التى ساعدت على انتشار الاسلام فى البلاد
التى فتحها .

يقول المؤلف عن سماحة الاسلام مع رجال الدين المسيحى
وأتباعهم :

« إن البطارقة ظلوا على كراسيهم بأنطاكية وبيت المقدس
والاسكندرية ، وذلك بفضل سماحة المسلمين .

ويقول : غير أن المسلمين كانوا أكمل من المسيحيين —
أصحاب البلاد .

فقد كان المسلمون أحفظ عهداً وأكثر رحمة بالمغلوبين ،
وقلما ارتكبوا - فى تاريخهم - من الوحشية ما ارتكبه المسيحيون
عندما استولوا على بيت المقدس عام ٩ - ١١ ميلاديه (١)

---

(١) قصة الحضارة ج ٣ . ص ٢٨٠

أما عن نظام القضاء الاسلامى فى البلاد المفتوحة فيقول :

وقد ظل القانون المسيحى يستخدم طريقة « التحكم الإلهى » بالنار أو بالماء ،

بينما كانت الشريعة الاسلامية تضع طائفة من المبادىء القانونية الراقية ، يقوم بتطبيقها قضاة مستنيرون من المسلمين (١)

وائل : ما معنى طريقة التحكيم الإلهى ؟

الشيخ : كانوا يلقون المتهم ـ مكتوفاً ـ فى الماء أو فى النار فإذا غرق أو احترق قالوا إنه ظالم .

وإذا نجا .. قالوا : إنه مظلوم .

ولكن الاسلام ـــ عندما فتح هذه البلاد ـــ حكم القواعد القانونية الثابتة (٢) العادلة فى الحكم بين الناس .

« قصة الحضارة الأستاذ ول ديورانت ص ٢٨٣ ج ١٣ »

---

(١) المرجع السابق ج ١٣ ص ٢٨٣ .

(٢) ملامح القضاء الاسلامى :

١ ـــ نصب القضاة وجعلهم سلطة مستقلة عن الحاكم العام =

. . . . . .

= ٢ - أنشأ - بجوار القضاء - ولاية دفع المظالم - « عمر وأصول السياسة ص ٣٤٦ »

٣ - جعل القضاء سلطة فوق الأمراء - يراقبهم ويحتكمون إليه - بل حتى الخليفة إذا تحققت القضية ضده فمن سلطة القضاء أن يحكم عليه . « الدولة القانونية للأستاذ الدكتور منير البياتى ص ٤٠٤ »

٤ - وضع دستوراً للقضاء . وتعتبر رسالة عمر بن الخطاب إلى أبى موسى الأشعرى هى دستور القضاء الاسلامى « ابن خلدون فى المقدمة ص ٢٢٥ »

٥ - نظم الاسلام جهازاً قضائياً لمراقبة القضاء نفسه - فجعل من حق هذه السلطة أن تنقض أحكام القضاة إذا جاءت مخالفة للكتاب والسنة « القضاء فى الاسلام للدكتور سلام مدكور ص ٢٢ »

وقد ذكر الأستاذ الدكتور منير البياتى ضمانات نزاهة القضاء الاسلامى فى كتابه ص ٤٢١ وحصرها فى نقاط ، أوجزها لك .

استقلال القضاء وأسس اختيار القاضى والقواعد القانونية الثابتة وحماية القاضى من العزل - إلا لسبب شرعى .

« الدولة القانونية للدكتور منير البياتى »

نجيب : الآن عرفنا الفارق بين الفتوحات الاسلامية وبين انتشار الاسلام .

وعرفنا العوامل التى ساعدت على سرعة انتشار الاسلام ، سواء منها ما يتعلق بالدعوة الاسلامية ، وما يتعلق بأخلاق المسلمين .

الشيخ : يا نجيب : ان شيئاً واحداً يمكن ان نرد به على المستشرقين .

نجيب : ما هو يا فضيلة الشيخ ؟

نعرف أن مكة حاربت الاسلام .

أما المدينة فقد فتحت أبوابها أمامه .

فهل يمكن أن يقال : إن الاسلام انتشر بالسيف على أهل المدينة ؟!

نجيب : لا لقد سارعوا الى الدعوة بمجرد أن ادركوا عظمتها .

ولكن .. لماذا شاء الله – سبحانه – أن يجعل من

أهل مكة من يعادى الاسلام، وهم أقرب الناس للنبي وعزه يرفع ذكرهم؟

الشيخ : يا نجيب استمعت إلى تعليل لطيف للشيخ محمد متولى الشعراوى قال فيه :

« لو كان أهل مكة هم أسرع الناس إيماناً ... لقال خصوم الاسلام : إن العصبية لمحمد - ﷺ - هى التى خلقت الايمان بمحمد.

ولكن عداء أهل مكة له، ومناصرة أهل المدينة جعلت الكل يقول : إن الايمان بمحمد - ﷺ - هو الذى خلق العصبية لمحمد - ﷺ -

نجيب : الله - الله - الله .

هذا كلام عظيم ...

وائل : يا فضيلة الشيخ .

نجيب : انتظر يا وائل ... فنحن فى البستان . . فلا بد أن نأكل الفاكهة أولا .. ثم نستمتع بحديث الشيخ .

الشيخ : وددت لو أعددت لنا الشاى على الفحم، فإنه

أطيب ، ولكن .. أين هشام ؟

نجيب : هشام يجلس على النهر يصطاد بعض السمك .

وجلس الجميع يأكلون الفواكه هانئين في بهجة وفرح وسرور ومرح وعاد الشيخ إلى الشباب في سؤال وجواب .

الشيخ : يا وائل : أي قوة في الأرض الآن تفرض على المسلمين أن يتمسكوا بدينهم ؟

وائل : لا شيء سوى حب المسلمين الاسلام .

الشيخ : الأعجب من هذا :

أن الصليبيين الذين أغاروا على بلاد الاسلام اعتنق بعضهم الاسلام ، وبعضهم انسحب من المعركة ، بعد أن اقتنع بعقم الدوافع التي جاء يحارب من أجلها .

وقد نمت ملامح الاسلام في نفوسهم فنقلوها إلى بلادهم ، فظهرت فكرة « الاصلاح الديني » على يد « مارتن لوثر » في أوربا .(١)

---

(١) انتشار الاسلام للأستاذ سامي محمود

حضر هشام يحمل مجموعة من السمك بينما استقبله والده بابتسامة وطلب إشعال النار لطهى السمك ، وتناول الطعام .

الشيخ : هل درست يا وائل غزو التتار لبلاد الاسلام ؟

وائل : لقد دمروا الحضارة وخربوا كل شىء ، وأحرقوا الكتب ، وأسقطوا الخلافة فى بغداد .

الشيخ : يؤيدك فى هذا ما قاله صاحب كتاب « قصة الحضارة فقد قال :

ولسنا نعرف أن حضارة من الحضارات - فى التاريخ كله - عانت من التدمير الفجائى ما عانته الحضارة الاسلاميه على يد المغول .

« قصة الحضارة جـ ١٣ صـ ٣٨٠ »

ومع ذلك فإن الاسلام كان أقوى منهم .

كان أقوى منهم عندما هزمهم عسكرياً فى موقعة « عين جالوت » .

وكان أقوى منهم عندما صبغهم بصبغته ، وهداهم إلى اتباعه واعتناق عقيدته .

وائل : « متعجباً » المغول دخلوا الاسلام ؟ !

الشيخ : إقرأ يا وائل ما كتبه الأستاذ سامى محمود :

« لقد إستطاع المغول — الذين دخلوا الاسلام — أن يجبروا أمراء روسيا على أن يدفعوا الجزية لهم ، ويقسموا يمين الطاعة للمسلمين .

واستطاع « تيمورلنك » فيما بعد أن يوطد دعائم الحكم الإسلامى فى جنوب روسيا ، وآسيا الوسطى ، وحوض بحر القزوين .

وأصبحت سمرقند (فى القرن الخامس عشر ميلاديا) عاصمة لامبراطورية إسلامية ضخمة » .

« انتشار الاسلام — محمود سامى »

ياوائل .. كان الإسلام أقوى من كل شىء حتى من المغول — الذين لا يعرف العالم شراً منهم — لقد صهرهم الاسلام .

وجعلهم جنوداً لخدمته

وائل : لقد عالجت بحديثك كل شىء فى قلبى .

ولا أنسى لك أنك أرشدتنى إلى الله .

وأثبتّ براءة أمى التى عشت حياتى أحقد عليها[1] .

فإلى اللقاء إن كان فى العمر بقية .

صافح وائل الشيخ، والدمع يملأ عينيه بينما استعد الشيخ لمغادرة الريف، مودعاً شباب القرية .

. . .

---

(1) القصة بتمامها فى كتاب « هذه عقيـــدتك يا ولدى » « اللقاء الأخير »

أهم المراجع

القرآن الكريم

تفسير الفخر الرازى ، والقرطبى ، وابن كثير .

عمدة القارى لشرح صحيح البخارى (العينى) .

حاشية ابن عابدين ، طبقات ابن سعد ، أسد الغابة فى معرفة الصحابة .

حياة الصحابة ، المعارف لابن قتيبة ، نهاية الأرب فى فنون الأدب .

كتب حديثة :

فقه السيرة للأستاذ محمد الغزالى .

حقائق الإسلام وأباطيل خصومه . العقاد .

الدولة القانونية للدكتور منير البياتى .

إلى اللقاء مع الشيخ عارف

فى الجزء الثانى من كتاب

هذا نبيك يا ولدى